عبر الهاتف

مجموعة قصصية

سعاد عبد الله

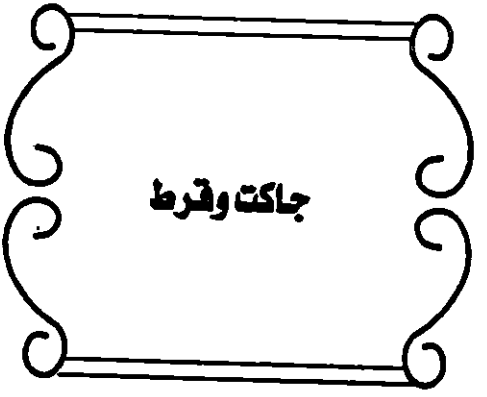
جاکت وقرط

جاكت وقرط

في هذا الوقت من المساء، أخذ الليل يرسل إلى الكون موجات متتابعة من الظلام، شغلت الحيز الذي كان يشغله ضوء النهار، فأخذ يتلاشى تدريجيًا من الكون.

في شقة بعمارة في شارع الرشيدي بحي الخلفاوي، كانت ميرفت جالسة على مقعد هزاز في حجرتها، مصغية بانتباه إلى موسيقى كلاسيكية هادئة، انبعثت من جهاز تسجيل، وضع فوق منضدة صغيرة على مقربة من المقعد.

وكان صديق المنهلاوي رجل الأعمال المعروف جالسًا على مقعد يفصله عن مقعد زوجته ميرفت مسافة قصيرة. وكان أيضًا يصغي إلى الموسيقى.

من ثم لم يدر حديث بين الزوجين إلا للتعليق ببضع كلمات على شيء ما في اللحن الموسيقى أو الاستفسار عن أمر ما خاص بشئون حياتهما اليومية.

فجأة تناول صديق ساعة يده من على المنضدة القريبة من مقعده، ونظر إليها ولاح الاهتمام على وجهه.

نهض صديق في الحال، ووقف قبالة زوجته، وضغط بيديه على ذراعي المقعد الهزاز، فتوقف المقعد عن الاهتزاز؛ إذ كان المقعد من حين إلى آخر يهتز برفق مثل أرجوحة تهتز مع كل هبة نسيم عليل.

رمته ميرفت بنظرة تعجب وابتسمت في تساؤل. فقال صديق:

- لقد تأخرنا يا ميرفت.

لم ترد ميرفت. فتساءل صديق في شيء من العتب:

- ماذا يا ميرفت؟! هل تقاعست عن حضور حفل الزواج؟

قالت ميرفت بسرعة:

- لا، ليس ممكنًا أن أتقاعس.

أحست ميرفت بالعجب؛ لأن صديق اعتقد ذلك، هل لأنها تباطأت قليلًا؟ لا ... ليكن ذلك ... فما زالت توجد فسحة من الوقت، وتستطيع ميرفت أن تفعل كل ما يعن لها.

سألت ميرفت نفسها، هل يمكنها حقًّا أن تتقاعس عن حضور هذا

الحفل الذي طال انتظاره؟ حفل زواج سامي .. الطبيب الذي يشار إليه بالبنان؟

إن سامي لم يكن ابن شقيقها الأكبر فحسب، إنما هو بمثابة أخ أصغر لها؛ إذ تولى أبوها وأمها تربيته طوال أعوام سفر والديه إلى إنجلترا للحصول على الدكتوراه. كان سامي آنذاك صبيًّا صغيرًا لم يتجاوز السابعة من عمره. وكانت هي طالبة بالجامعة.

لم تكن ميرفت تريد أن تستحوذ ذكريات الماضي على تفكيرها، فنهضت متشبثة بيد صديق، وذهبا إلى خزانة الملابس.

وفعلت ابنتاهما مروة وصافيناز في حجرتهما نفس الشيء تقريبًا، فقد حدث شد وجذب بين الفتاتين؛ لأن مروة طالبة الجامعة أرادت أن تفرض سيطرتها على شقيقتها صافيناز بالثانوية العامة وكاد ينشب بينهما شجار.

فرغ صديق وميرفت من اختيار الملابس المناسبة للحفل. وشرعا في ارتدائها، بعد لحظات بلغ أذني كل منهما صوت مروة تنادي أمها بصوت عذب رقيق يشبه زقزقة العصافير.

ردت ميرفت على مروة وغادرت الحجرة.

كانت مروة في الردهة واقفة تنتظر أمها في ضيق. وما أن وصلت إليها حتى قالت مروة بصوت خافت لا يكاد يبين:

- أرغب في أن أرتدي الجاكت والقرط اللذين أحضرهما لك أبي من باريس في الشهر الماضي.

قالت ميرفت في شيء من الحدة:

- إنني سأرتديهما.

قالت مروة بتوسل:

- لكنني أتوق إلى ارتدائهما في هذا الحفل.

قالت ميرفت بلهجة حاسمة:

- عندما تكبرين.

واستدارت عائدة إلى حجرتها.

لم تبرح مروة مكانها، إنما ظلت واقفة برهة تفكر في حيرة ثم استدارت لتعود من حيث أتت، وشرعت في ارتداء ثياب الخروج.

أقيم حفل زواج سامي في صالة الحفلات بفندق كبير. وقضى المدعوون وقتًا طيبًا تغلبت فيه مشاعر الفرحة والبهجة على ما عداها. ومن ثم تبخر من صدر مروة الإحساس بالضيق الناجم عن رفض والدتها تلبية طلبها، وكاد الأمر يصبح كأنه لم يكن، خاصة أنها رأت والدتها متألقة في وسط الأسرة بالجاكت والقرط الجديدين إلى جانب عقد من الماس ازدان به جيدها العاجي الجميل.

بعد ذلك بأيام، وكانت إجازة نصف العام الدراسي قد ابتدأت، انطلق رنين جرس الباب الخارجي بينما كانت مروة في الردهة تقوم بإزالة الغبار من على بعض قطع الأثاث.

تركت مروة ما تفعل، وسارت متجهة إلى الباب لتفتحه وترى القادم. لكن أمها أقبلت من المطبخ وهي تكاد تهرول. وقالت:

- سأفتح أنا الباب. ادخلي أنت.

وقفت مروة في مكانها، ونظرت بتعجب إلى أمها وهي تذهب إلى الباب وتفتحه. وترحب بالمرأة الواقفة أمام الباب. وتصافحها وتدعوها إلى المرور من الباب. فوقفت مروة جانبًا لتسمح للضيفة بالمرور.

قامت ميرفت بواجب التعارف بين مروة والضيفة فقالت:

- مروة ابنتي طالبة جامعية .. السيدة تماضر صديقة جديدة، قابلتها في الكوافير وتعرفت عليها.

شدت كل من مروة وتماضر على يد الأخرى. وقادت ميرفت تماضر إلى حجرة الاستقبال.

كانت صافيناز جالسة أمام الكمبيوتر تقرأ كتابًا إلكترونيًّا عندما دلفت مروة إلى حجرتها وجلست إلى مكتبها مدة قصيرة. ثم نهضت. وقالت:

- أرادت أمي أن أصنع شايًا للضيفة، هل تريدين كوبًا من الشاي؟

قالت صافيناز:

- أصنعه أنا إذا شئت. أستريح قليلًا من النظر إلى الجهاز.

قالت مروة وهي تجلس:

- اصنعي. أنا أيضًا أريد كوبًا من الشاي.

غادرت صافيناز الحجرة وذهبت إلى المطبخ. وبلغ أذنيها وهي تسير في الردهة صوت ما دار من حديث بين ميرفت والضيفة.

أثار الحديث اهتمام صافيناز فوقفت برهة مصغية. أرادت صافيناز أن تضحك وحاولت أن تتغلب على رغبتها هذه فلم تستطع. وخافت أن يصل صوت ضحكها إلى الضيفة. فكتمت الضحك بجهد وذهبت إلى المطبخ وبدأت في صنع الشاي. وعندما فرغت من صنعه صبته في فناجين، وضعت اثنين منها على صينية إلى جانب كوب من الماء وذهبت بالصينية إلى حجرة الاستقبال.

ألقت صافيناز على تماضر التحية بابتسام وهي تضع الصينية على المنضدة.

ردت تماضر التحية وهي تنظر إلى صافيناز متأملة.

وأحست صافيناز تجاه تماضر بشيء من عدم الارتياح. فغادرت الحجرة على الفور.

أحضرت صافيناز الشاي لنفسها ولمروة إلى حجرتها وجلست. وأخذت رشفة من فنجان الشاي. ثم وضعته على الصينية، وقالت:

- هذه السيدة تجذب اهتمام والدتنا بقصص وحكايات عن أشخاص لا نعرفهم ... وربما لا وجود لهم في الحياة. هل يعقل هذا؟

قالت مروة وهي تفكر:

- ربما ينتمون إلى عالم السحر والخيال والأساطير. هل يعقل أن تنخل امرأة الدقيق في طست به ثقب كبير يجعله لا يحتفظ بالدقيق؟! كل هذه في جانب وحكاياتها عن ابنتها تلك الشخصية الغامضة ومغامراتها في جانب آخر.

قالت صافيناز:

- تدعي أنها ذات خبرة بعالم الجن والشياطين.

قالت مروة باستغراب:

- حتى الجان أنفسهم لم يسلموا من لسانها ... اللهم احفظنا من هذا اللسان.

صمتت مروة لحظة فكرت خلالها وأردفت قائلة:

- ما علينا. هيا بنا نأتي بالثياب المغسولة من الشرفة.

- هو كذلك.

ذهبت الفتاتان إلى الشرفة، وجمعتا الثياب المغسولة من على الحبال، وعادتا إلى حجرتهما بعد دقائق وقد حملت كل منهما كومة من الثياب وضعتها على الفراش.

تأهبت صافيناز لتغادر الحجرة. استوقفتها مروة قائلة:

- نطوي الثياب أولًا ونعيدها إلى أماكنها بخزانة الثياب.

قالت صافيناز بلهجة احتجاج:

- اطويها أنت يا مروة. أريد أن أذاكر دروسي.

قالت مروة:

- لن أطوي كل هذه الثياب بمفردي. أنا أيضًا أريد أن أذاكر.

- سأخبر أمي.

غادرت صافيناز الحجرة وهي تزفر في ضيق، وتبعتها مروة.

وقفت صافيناز خارج باب حجرة الاستقبال بحيث تراها والدتها. وأصدرت من بين شفتيها صوتًا خافتًا يشبه هسيس أوراق الشجر. منادية ميرفت.

وكانت ميرفت تصغى إلى حديث تماضر بانتباه. فنظرت إلى صافيناز في شيء من الضيق. وقالت:

- ماذا تريدين يا صافيناز؟

إربد وجه صافيناز. وأجابت في ضيق:

- لا شيء.

وسارت مبتعدة عن الحجرة. وبلغ أذنيها صوت تماضر وهي تنادي عليها. وعندما ذهبت صافيناز إلى حجرة الاستقبال وقفت عند الباب في تردد. قالت تماضر وهي تشير إلى مقعد قريب:

- أنت مثل ابنتي يا صافي ... تعالي واجلسي معنا. إنك كبرت.

شكرتها صافيناز في أدب جم. واستدارت لتعود من حيث أتت.

جاءت مروة إلى الحجرة في هذه اللحظة. وجلست إلى جانب ميرفت. فتبعتها صافيناز وجلست بجوار مروة.

استأنفت السيدتان حديثهما من جديد. وانتقلتا في الحديث من موضوع إلى آخر في جو يسوده البشاشة والمرح.

فجأة توقفت تماضر عن الحديث. واحترمت ميرفت وابنتاها صمتها، ولم تنطقا بحرف واحد.

إعتصرت تماضر ذهنها كأنها تريد أن تتذكر شيئًا مهما غاص بعيدًا في أعماق الذاكرة لا يريد أن يطفو على سطحها. ثم قالت بأدب:

- لا مؤاخذة يا سيدة ميرفت. تذكرت أن ابنتي سميرة أعجبت بك كثيرًا عندما كنت مرتدية الثياب التي ارتديتها في حفل زواج ابن أخيك، إنك كنت أكثر الحاضرات جمالًا وأناقة.

ابتسمت ميرفت بسرور وقالت:

- هذا بعض ما عندكم. والعاقبة لديكم في المسرات.

- ولديكم.

فكرت تماضر لحظة. وقالت:

- آه ... تذكرت، طلبت مني سميرة أن أحضر لها الجاكت والقرط لترتديهما في حفل عيد ميلاد صديقتها.. أعز صديقة لسميرة.. كانت ... ، ... ، ...

لم تعد ميرفت تسمع شيئًا مما تقول تماضر. فقد كسا الوجوم وجهها وبدت كالمصدومة.

أما الفتاتان فقد عقدت الدهشة لسان كل منهما، ولم تنبس إحداهما بحرف واحد. وألح على ذهن كل منهما سؤال أخذت أصداؤه ترن في أذنيها عندما سألت نفسها هو: كيف رأت تماضر وابنتها ميرفت أثناء

وجودها في الحقل فكرت كل منهما ولم تجد في ذهنها إجابة عن هذا السؤال.

أخيرًا، وجدت مروة لسانها وكان الغضب والكمد قد استوليا عليها لدرجة كبيرة. فقالت:

- لقد رفضت أمي أن تعطيها لى لأرتديها في الحفل وأردهما إليها. فكيف تعطيها لابنتك؟

غضبت تماضر، وجاهدت لإخفاء غضبها، لكنها لم تنجح تمامًا. ثم نظرت إلى ميرفت في شبه عتاب وقالت:

- كيف سمحت لابنتك أن تصل إلى هذا الحد من الجرأة والجسارة؟! هي فتاة ... والفتاة لا بد أن تكون مهذبة لا يجب أن تتدخل فيما لا شأن لها به.

استشاط غضب ميرفت. وعجز لسانها لحظة عن النطق. بينما تورد لون وجه مروة من شدة الغضب وفتحت فمها لترد. لكن ميرفت سبقتها قائلة لمروة:

- لا تتدخلي يا مروة فيما لا يعنيك. عودي إلى حجرتك. خذي أختك معك.

قالت مروة بعنادٍ:

- لن أذهب.

وقفت صافيناز لحظة مترددة. رأتها مروة فدفعتها لتجلس على المقعد.

لاح الحزن على وجه تماضر وقالت في شيء من الأسى:

- يا مروة. أنت وصافيناز في مقام ابنتي. لماذا تعامليني على هذا النحو الذي لا يليق بفتاة مثلك من أسرة طيبة ؟

لم تجب مروة. فاستطردت تماضر قائلة:

- أنا يا مروة أحتاج إلى المعونة. ووالدتك السيدة الطيبة الكريمة لم تبخل علي بها.

ورفعت تماضر يديها إلى السماء. ولهج لسانها بالدعاء إلى الله ليحفظ ميرفت وأسرتها ويقيها من الشر ويديم عليها الستر والخير.

وصمتت تماضر لحظة تفحصت خلالها وجوه الحاضرات لتعرف رد فعل حديثها لديهن. وأقسمت بكل عزيز لديها بأنها سوف تعيد الجاكت والقرط إلى ميرفت في صباح الغد.

ارتبكت ميرفت ولم تدر بما تفعل فلاذت بالصمت.

غضبت مروة لأنها انتابها الإحساس بأن أمها قد خدعت. ولم تطق أن تسمع مزيدًا عما تقول تماضر. فصاحت:

- لن تظفري بما طلبت.

وضعت تماضر راحتي يديها على وجهها، وبعد لحظات تردد في أرجاء المكان صوت نشيج مكتوم كاد يذيب الصخر، لمس تأثيره قلبي ميرفت وصافيناز، فاقتربتا من تماضر، وأخذتا تربتان على كتفها وتطيبان خاطرها إلى أن هدأت قليلًا. أخبرتهما تماضر بأنها يحز في نفسها أن تعود إلى ابنتها بيدين فارغتين.

قالت مروة:

- هذا أفضل من أن تعودي إليها بيدين مجبورتين.

تظاهرت تماضر بالذلة والانكسار. وقالت:

- يا لها من تربية ... ويا له من أدب!

- أنا مؤدبة وآف ...

قاطعت ميرفت ابنتها قائلة:

- أنا التي سأرد عليك في هذه المرة يا مروة. إنني لن أقبل منك مزيدًا من التدخل فيما لا يعنيك.

غادرت ميرفت الحجرة بسرعة كأن شيطانًا يهرول وراءها ويدفعها أمامه دفعًا. وعادت بعد ثوانٍ معدودات وبيدها حقيبة من البلاستيك سوداء اللون. أعطتها لتماضر وقالت:

- هذا هو ما طلبت أيتها السيدة تماضر.

غشت الفرحة وجه تماضر ولاحت في عينيها نظرة تشفي حاولت أن تخفيها فلم تستطع إلا أن تواري جزءًا كبيرًا منها وهي تنظر إلى مروة في عتاب دون أن تنبس بحرف واحد.

شعرت مروة بالغضب تجاه هذه النظرة التي لم يرمها بها أي شخص من قبل. ودفعها الإحساس بالقهر إلى أن تفكر في وسيلة تمحو بها ما لحق بكبريائها من إهانة. فأخذت الحقيبة من تماضر بسرعة وأسرعت لتغادر الحجرة.

لكن ميرفت انقضت على مروة كالنسر الهائج، واختطفت الحقيبة وأعطتها لتماضر. ودفعت مروة أمامها تجاه الباب لتغادر.

كادت مروة تسقط لكنها تشبثت بالأرض بقوة واستندت إلى الجدار. وبعد أن تمالكت نفسها نظرت إلى تماضر بغضب وقالت:

- كفى ما أخذت من أمي من أشياء نحن أولى بها. سأجعلك تقلعين عن ذلك. إنني سأخبر أبي.

وغادرت مروة الحجرة مسرعة. وذهبت إلى حجرتها.

ظلت صافيناز واقفة مكانها لا تدري هل تذهب أم تظل مع والدتها، وحسمت ميرفت الموقف بأن قالت لها في غضب:

- ماذا يجعلك تبقين؟ اذهبي أنت أيضًا.

فغادرت صافيناز الحجرة في خجل.

عندئذ دنت تماضر من ميرفت ووضعت يدها على ذراعها برفق. وقالت بحنان كأنها تنصحها:

- لا تغضبي. لا يجلب الغضب للإنسان غير المرض.

قالت ميرفت وهي تجلس:

- صدقت ... اجلسي أنت أيضًا.

جلست تماضر مترددة لحظة. ثم قالت:

- أرجو ألا يغضبك ما سأقول يا سيدة ميرفت. أرى أنك يجب أن تؤدبي ابنتك. البنت إذا كسرت لها ضلعًا ينمو لها ضلعان. يجب أن تمنعيها من التحكم في تصرفاتك ... اضربيها ... ابحثي لها عن طريقة والسلام.

قالت ميرفت بضيق:

- مؤكد أنني سأجد وسيلة.

ثم دار الحديث بين المرأتين من جديد. ولم يكن كسابق عهده. إنما شابه شيء من الأسى. وما لبثت تماضر أن استأذنت لتنصرف.

طلبت منها ميرفت أن تجلس فترة أطول. فرفضت متذرعة بأنها في حاجة إلى أن تشتري بعض طلبات المنزل. ولم تملك ميرفت غير أن تسمح لها بالذهاب.

في ذلك المساء لم يجتمع شمل الأسرة حول مائدة العشاء؛ لأن مروة رفضت أن تتناول العشاء.

وعندما لاحظ الأب غياب مروة، تساءل:

- أين مروة؟

أجابت صافيناز في شيء من التردد:

- في حجرتها ... تقرأ كتابًا.

قال الأب بدهشة:

- أي كتاب هذا الذي يجعلها لا تتعشى معنا ... اذهبي إليها يا ابنتي وبلغيها أنني أحضرت لها ما طلبت.

قالت صافيناز في سرور:

- هل حقًّا يا أبي؟ أين هو لأحمله إليها.

ناولها الأب علبة مجوهرات صغيرة، فتحتها صافيناز ووجدت بها خاتم من الذهب نظرت إليه بانبهار وأطرت ذوق أبيها وأعطته لميرفت لتشاهده.

تأملت ميرفت الخاتم بإعجاب، ودعت لزوجها بطول العمر فشكرها. وطلب من ابنته أن تذهب لتنادي على مروة. أخبرته ميرفت بأن مروة سوف ترفض المجيء وأعادت إليه علبة الحلي فنهض صديق من على مقعده وغادر الحجرة.

كانت مروة جالسة وراء مكتبها وقد استغرقت في تفكير

عميق. لكنها تظاهرت بالقراءة عندما وصل إلى سمعها وقع أقدام والدها.

دخل صديق إلى الحجرة، وسأل مروة عن السبب في عدم ذهابها إلى مائدة العشاء.

أطرقت مروة برأسها ولم تجب. فتناول صديق الكتاب وتصفحه بسرعة وهو يقول:

- لا أعتقد أنه السبب. هو كتاب جامعي ليس به ما يجذب إلا إذا كنت اتخذته سببًا لأجيء إليك بنفسي، وأخبرك بأنني اشتريت لك الخاتم.

غمرت الفرحة وجه مروة وهي تتناول من أبيها علبة الحلي وتفتحها بسرور انتقلت عدواه إلى صديق وهو يرقبها فلاح البشر على وجهه.

لبست مروة الخاتم في أصبعها وتأملت منظره في يدها بسرور. وطبعت قبلة حانية على وجنة أبيها وقالت:

- أشكرك يا أفضل أب في الدنيا كلها.

ضحك الأب وقال:

- في الدنيا كلها ... أنت تبالغين ... هيا نتعشى لأنني في غاية الجوع.

لاح الضيق على وجه مروة وقالت بلهجة اعتذار:

- لن أستطيع.

لم تفلح محاولات صديق لإثناء مروة عن عزمها. فتعجب الأب من سلوك ابنته وألح عليها لتخبره بالسبب. فروت على مسمعيه ما حدث.

زاد تعجب الأب. وفكر مليًا قبل أن يقضي برأيه. وقر عزمه على أن يتحرى الحقيقة. فقد داخله الشعور بأن الأمر به شيء من المبالغة. فهدأ من روع ابنته وأبدى رغبته في تناول الطعام. وغادر الحجرة بعد أن وعدته مروة بأن تأكل الطعام الذي يرسله مع صافيناز.

بعد ذلك بيومين وكانت الشمس تؤذن بالمغيب عندما فتح صديق خزانة الثياب وأخذ يبحث عن القميص الكاروهات السماوي اللون ليرتديه مع البذلة السوداء ولم يعثر له على أثر. فنادى على ميرفت وكانت جالسة في الردهة تشاهد مسلسلًا تليفزيونيًا.

جاءت ميرفت إلى الحجرة. وعندما سألها صديق عن القميص شحب وجهها قليلًا وارتبكت وترددت لحظة ثم قالت:

- ارتدي القميص الأبيض المقلم بأزرق. هو أفضل.

نظر إليها صديق في تعجب وتساءل:

- لماذا؟

لم ترد ميرفت. فاستطرد صديق:

- هل علم أنني أريد أن أرتديه وأذهب به إلى الشركة فسبقني إليها؟

ظلت ميرفت صامتة. فتساءل صديق:

- لماذا لم تجيبي على تساؤلي؟ هل سؤالي لا يستحق الإجابة عنه؟

ترددت ميرفت وقالت:

- أرشدتك إلى الأفضل فلم يروقك.

قال صديق:

- لكنني أريد أن أرتدي قميصًا معينًا ... يبدو أنك الآن منشغلة. ابحثي عنه وقتما شئت المهم أنني أرتديه صباح الغد.

عاد صديق إلى حجرته وشرع في ارتداء ثيابه وهو يفكر في مسألة القميص بتمعن.

فجأة تردد في أذنيه ما سمعه من مروة عن تماضر. وارتسمت على

صفحة ذهنه صورة الجاكت وتلتها صورة القرط.

بحث صديق عن جاكت زوجته ولم يجده. فكاد يثور ثورة عارمة لكنه سيطر على ثورة أعصابه. وذهب إلى ميرفت بالمطبخ. وسألها عن الجاكت فلم تحر جوابًا.

شد صديق الخناق على ميرفت بأسئلته فتظاهرت بانهماكها في عملها. وسألته عن سبب سؤاله عن الجاكت. فأجاب بأنه يريد أن يعرف عنوان المحل ليبتاع لها ملابس أخرى.

استولت الحيرة على ميرفت ولم تعرف كيف تجيب. وتذكرت أن تماضر وعدتها بأن تعيد إليها الجاكت والقرط في صباح اليوم التالي ولم تفعل. إذ أخبرتها في اليوم التالي بأنها أعطت الجاكت لصاحب محل التنظيف وأنه وعدها بأن يسلمه لها في المساء. ثم أتت بعد ذلك إلى ميرفت وحصلت على ما تريد منها ميرفت وأقسمت بأن صاحب المحل أصيب في حادث وأنه ملازم الفراش في المستشفى.

كرر صديق السؤال. وأخيرًا وجدت ميرفت لسانها واستطاعت أن تحركه في فمها فأجابت في وجل:

- عند محل التنظيف.

لاحت الدهشة على وجه صديق وسألها عن السبب فأجابت:

- انسكب عليه بعض الشراب.

تعجب صديق لأن ميرفت ارتدت الجاكت في حفل زواج سامي فقط. وكان صديق في صحبتها ولم يسقط على الجاكت ذرة غبار واحدة.

عاد صديق إلى حجرته وتناول سلسلة مفاتيح وفتح درجا. وتناول منه علبة حلي كبيرة بحث فيها عن شيء ما. وعندما لم يجده وقف برهة يفكر. ثم قال لنفسه: والقرط أيضًا. إذن هذا صحيح.

أغلق صديق العلبة في ضيق أشد وأعادها إلى مكانها. وشرع في تكملة ارتداء ثيابه وهو يفكر بإمعان. ثم لاح التصميم على وجهه فجأة وقال لنفسه وهو ينظر إلى المرآة: يجب أن أضع حدًّا لهذا.

وعاد صديق إلى منزله في اليوم التالي قبل موعد عودته بحوالي ساعتين.

فتحت له صافيناز باب الشقة. فدخل وأغلقت صافيناز الباب وراءه. وبينما هو يسير في الردهة سمع همسًا يدور في حجرة الاستقبال. فتساءل:

- هل لدينا ضيوف؟

- أجل.

- من؟

- السيدة تماضر. صديقة ماما.

- ليس هذا وقت زيارات. بلغي أمك أنني أريد أن أتناول طعام الغداء بعد ساعة من الآن.

- أمرك يا أبي.

سمع صديق صوت ميرفت من حجرة الاستقبال تدعوه إلى التعرف على صديقتها.

اعتذر صديق لأنه لا يوجد لديه متسع من الوقت. وذهب إلى حجرته.

استولى على ميرفت الإحساس بالخجل وهي تتحدث عن زوجها والتمست له الأعذار. وأكد قولها ما أخبرتها به صافيناز.

بينما لاح الضيق على وجه تماضر برهة. ثم أخفت تماضر ضيقها وأرسلت ضحكة صفراء خافتة انتزعتها من بين شفتيها انتزاعًا وقالت في مرح مفتعل:

- ما عليك. الأستاذ لا يصافح النساء؛ لأنه متوضئ. قابلت أشخاصًا كثيرين من هذه النوعية ... إنني مصممة على أن أصافحه حتى إذا توضأ مرة أخرى.

واندفعت تماضر خارجة من الحجرة تاركة ميرفت واقفة في وسط الحجرة لا تكاد تصدق نفسها من الدهشة.

بعد لحظات رن في أرجاء الشقة صوت صديق يقول في غضب:

- يجب أن تلزمي حدودك أيتها السيدة.

سمعت ميرفت وقع قدمي تماضر تهرول في الردهة وما لبثت تماضر أن دخلت إلى حجرة الاستقبال وقالت:

- هو يبدل ملابسه و ...

وقبل أن تتم تماضر عبارتها وقف صديق خارج حجرة الاستقبال مرتديًا بنطلون البيجامة والقميص. ونظر إلى ميرفت وقال بغضب:

- يا سيدة ميرفت. إذا أتت هذه السيدة إلى بيتنا مرة أخرى سوف تنتهي العلاقة بيننا.

فقد حز في نفس صديق أنه بدلًا من أن يذهب إلى الشركة ذهب

للبحث عن مسكن تماضر الذي كتبت عنوانه لميرفت بخط يدها، ولم يجده. كما أنه لم يجد أثرًا لمحل التنظيف الذي ادعت أنها أعطت لصاحبه الجاكت.

ارتاعت الفتاتان عندما سمعتا صوت والدهما. وهرولتا إلى خارج الحجرة مستطلعتين بانزعاج شديد. ورأتا والدتهما وضيفتها تحملقان إلى الردهة في ذهول، ووالدهما يهرول إلى حجرته بالقميص وبنطلون البيجامة، فعادتا إلى حجرتهما مبتسمتين.

تمالكت تماضر رباطة جأشها أولًا. وربتت على يد ميرفت برفق. وعندما انتبهت الأخيرة إليها قالت بصوت خافت لا يكاد يبين:

- لا تخافي. سآتي إليك في عدم وجوده. لن يجسر أحد على أن يخبره بشيء.

صمتت تماضر لحظة ونظرت إلى ميرفت متأملة. ثم أردفت:

- لا تنسي الرستو. قلت إنك ستطهينه اليوم. قال زوجي: إنك أفضل طاهية لهذا الصنف من الطعام في الجمهورية كلها.

لم ترد ميرفت وبعد لحظة قالت تماضر:

- أرجو أن تسمحي لي بالانصراف.

ومدت يدها تجاه ميرفت تريد أن تصافحها. لكن ميرفت سارت متجهة إلى الباب في ذهول.

تبعتها تماضر في ضيق.

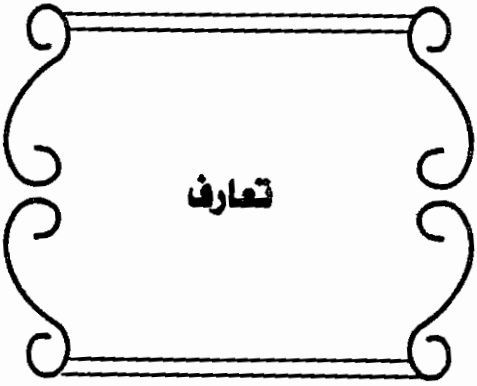
تعارف

تعارف

كان شارع مهران حسن بحي روض الفرج يموج بالحركة والنشاط كعادته في هذا الوقت من النهار. انتشر الباعة على جانبي الشارع، وكادت جدران الطابق الأرضي للغالبية العظمى من المنازل يغطيها ما يلزم هؤلاء الباعة من عربات يد ومناضد وأقفاص وغير ذلك. ولنفس السبب أيضًا اختفى جزء كبير من أرض الشارع، ولم يبقَ للمارة إلا مساحة صغيرة تقع في وسط الشارع كأنها ممر.

وقد اختلطت نداءات الباعة وأحاديثهم فيما بينهم أو مع الزبائن، وأحاديث المارة والأصوات المنبعثة من أجهزة الراديو والتليفزيون وغيرهما وأحاديث السكان التي خرجت بلا قصد من نوافذ وشرفات المنازل وأبواب المحلات والمقاهي. وقد التقت هذه الأصوات جميعها كأنها خيوط يتشكل منها نسيج واحد هو الطابع المميز الذي يوصف به هذا الجزء من الشارع.

وسط هذا الخضم الهائج، في وقت الظهيرة خرجت هنومة من باب

منزل على الجانب الأيمن من الشارع، وسارت بتؤدة متجهة إلى الناحية الأخرى من الشارع. وأثناء سيرها تبادلت التحيات والعبارات القصيرة مع كثير من المارة والباعة وربما تبادلت الابتسامات والضحكات في بعض الأحيان.

سارت هنومة مقتربة من نهاية الشارع حيث كان الضجيج والزحام أقل، وقد ارتسمت على وجهها آيات الجدية والتفكير.

وصلت هنومة إلى عمارة حديثة البناء. ومرت من بابها، وصعدت الدرج إلى الطابق الثالث، ووقفت لحظة أمام باب شقة الأستاذ محروس المحامي مترددة قبل أن تضغط على زر الجرس.

فتحت سالي الباب، وكانت مرتدية الزي الرسمي للمدرسة الابتدائية.

بادرتها هنومة قائلة:

- كيف حالك يا سالي؟

تعجبت سالي ولم ترد لأنها لم تكن رأت هنومة من قبل. لذلك نظرت سالي إليها في شيء من التوجس.

تساءلت هنومة:

- لماذا أنت خائفة؟ إنني سألتك ولم تجيبي.

لاحت الدهشة على وجه سالي وقالت:

- أنا لا أعرفك.

ابتسمت هنومة وقالت:

- لكنني أعرفك ... أعرفك جيدًا ... وهذا يكفي.

ازدادت دهشة سالي. فنظرت هنومة إليها بتأمل واستطردت:

- رغم ذلك إنني سوف أعرفك بنفسي. هنومة. أقيم في الناحية الأخرى من الشارع ... بجوار المخبز ... في المنزل الذي أقمتم فيه أسبوعًا قبل أن تسكنوا بهذه الشقة.

صمتت هنومة لحظة تأملت خلالها وجه سالي لترى تأثير الكلام عليها وأردفت:

- جئت لأقابل والدتك. أعرف أنها معلمة بمدرسة زهور الرياض الإعدادية للبنات. وأن اسمها نعيمة. أرجو أن تذهبي إليها وأن تبلغيها بقدومي.

قالت سالي:

- هو كذلك ... بإذنك.

أغلقت سالي الباب برفق واتجهت إلى داخل الشقة.

كانت نعيمة في المطبخ تقوم بطهو طعام الغداء. ذهبت سالي إليها وبلغتها ما سمعته من هنومة بالحرف الواحد بدون زيادة أو نقصان كأنها سجلت ما قالته هنومة على شريط تسجيل.

تجهم وجه نعيمة قليلًا وقالت:

- أولًا إنني لا أعرف هنومة هذه، ثانيًا نحن لم نتعرف على أحد من جيراننا في المنزل السابق. ثالثًا وهو الأهم ... إنني أريد أن أنتهي من طهو الطعام قبل أن يعود أبوك من عمله. اذهبي إليها وبلغيها ذلك.

- أمرك يا أمي.

ذهبت سالي لتفعل ما أمرتها به أمها. وبعد أن سارت بضع خطوات في الردهة دق الجرس مرة أخرى. فضاعفت سالي سرعتها لتذهب إلى الباب وتفتحه.

وكانت هنومة ما زالت واقفة أمام الباب. وما أن رأت سالي حتى قالت لها في شيء من الضيق:

- مؤكد أنها أمرتك بأن تفتحي لي حجرة الاستقبال ... أو تسمحين لي بالجلوس على مقعد بالصالة.

قالت سالي:

- لا شيء من هذا أو ذاك. قالت:

أعادت سالي ما سمعته من والدتها. ووقفت لحظة في ترقب على أمل أن تنصرف هنومة وتذهب لحال سبيلها ...لكن هذا لم يحدث. فأغلقت سالي الباب وعادت إلى حجرتها.

لم تمضِ إلا ثوانٍ ودق جرس الباب مرة أخرى.

فتحت سالي الباب ورأت هنومة واقفة في مكانها لم تتزحزح عنه قيد أنملة. قالت هنومة بضيق:

- ليس من الذوق والتربية الحسنة أن أظل واقفة هكذا.

قالت سالي:

- سأخبر أمي.

كانت نعيمة في المطبخ تصغى بانتباه إلى ما يدور عند باب الشقة. وما لبثت أن سمعت الباب يغلق، يليه وقع قدمي سالي تقتربان من باب المطبخ.

وقفت سالي قبالة نعيمة في المطبخ وقالت بضيق:

- ضقت ذرعًا بهذا. لا أدري ماذا أفعل لكي تغادر. رفضت أن تذهب دون أن تتحدث إليك.

تساءلت نعيمة في استغراب:

- لماذا تتحدث إليَّ؟ ألم تعرفي ما تريد؟

أجابت سالي:

- لا ... رفضت أن تخبرني.

قالت نعيمة:

- وأنا أرفض أن أتحدث الآن إلى أي مخلوق ... أيًا كان. أبوك على وشك المجيء. والطعام لم يجهز. هل أقول له تأخرت عن إعداد الطعام لأنني كنت أتحدث إلى امرأة لا أعرفها؟!

دق جرس الباب. فرفضت سالي أن تفتح الباب وغادرت المطبخ. وعندما دق الجرس مرة أخرى. تركت نعيمة ما بيدها في ضيق. وغسلت يدها وجففتها بالفوطة. وخلعت ميدعة المطبخ وعلقتها على المشجب واتجهت إلى الباب.

فتحت نعيمة الباب. ونظرت إلى هنومة مستطلعة بضيق. على الفور بادرتها هنومة قائلة في لهجة تنم عن العتب:

- أشكو إليك من ابنتك سالي.

لاح الانزعاج على وجه نعيمة وهي تتساءل:

- ماذا فعلت سالي؟

قالت هنومة:

- أنا في أشد الغضب منها. أوصدت الباب دوني ... منعتني من الدخول. منعتني من أن أتعرف عليك وأنال شرف معرفتك ... أنت السيدة الكاملة سليلة الحسب والنسب و...، و....، و....

انطلقت الكلمات من فم هنومة بسرعة كبيرة وبصوت خفيض ولم تستطع نعيمة أن تفهم كلمة واحدة مما قالته هنومة وحاولت أن تتغلب على رغبتها في الضحك دون جدوى.

نظرت هنومة إلى نعيمة وأومأت بيدها تجاه سالي وقالت بضيق:

- هي هي ذي تضحك.

دفعت نعيمة ابنتها في كتفها وقالت بضيق أشد:

- هذا ما نأخذه منك. اذهبي إلى حجرتك واضحكي كما يحلو لك.

فعادت سالي إلى حجرتها في ضيق.

بدأت هنومة تتحدث في هدوء وبصوت خافت. وانطوى حديثها على شيء من العتب تجاه نعيمة لأنها عاملتها هذه المعاملة غير الإنسانية. كما أخبرت نعيمة بأنها تريد أن تتعرف عليها بسبب ما سمعته عن عائلتها من طيب الخلق وكرم المحتد.

تعجبت نعيمة في نفسها وأخبرت هنومة بأنها تعرفت عليها وأنها لم يمكنها أن تقضي معها وقتًا أطول لأنها تركت عملها اليوم بالمصلحة الحكومية التي تعمل بها بسبب كثرة ما ينتظرها من أعمال منزلية.

رجتها هنومة أن تصغي إليها دقائق فقط. وظلت نعيمة واقفة على مضض في ترقب واستسلام.

أطنبت هنومة في الحديث إلى حد كبير.

خيل إلى نعيمة أنها مصغية إلى جهاز تسجيل لن تستطيع أن تمنع شريطه عن الدوران. والأدهى من ذلك أن المرأة بدأت تنظر إلى داخل الشقة بتأمل. فانتاب نعيمة شيء من الخوف. فقالت:

- تشرفنا بحضورك يا هنومة هانم ... مع السلامة.

تحدثت هنومة في موضوع آخر.

ضاقت نعيمة بحديث هنومة إلى حد كبير دفعها إلى أن تقول:

- بإذنك.

أغلقت نعيمة الباب برفق. وذهبت إلى حجرة سالي وأمرت سالي بألا تفتح الباب الخارجي. وعادت إلى المطبخ واستأنفت العمل بهمة ودأب.

دق الجرس وترددت أصداء رنينه في أرجاء الشقة. لم تهرع نعيمة إلى الباب. لكنها استمرت في أداء عملها. وعندما لم يتوقف رنين الجرس. ألقت نعيمة ما بيدها في غضب شديد. وذهبت إلى الباب بسرعة وفتحته وصاحت:

- الطعام على النار يوشك أن يحترق. وزوجي على وشك المجيء.

وأنا مرهقة من كثرة العمل. ولا أريد أن أكون صداقات جديدة.

تصنعت هنومة الرقة وقالت في شبه توسل:

- أرجو أن تصبحي صديقة لي. دفعتني شدة حبي لك إلى أن أعـرف أخباركم و... و...

لم تعير نعيمة حديث هنومة آذنًا مصغية. وأغلقت البـاب وعـادت إلى المطبخ بسرعة. وانهمكت في عملها.

بعد عدة دقائق كان ولدها أحمد يصعد الدرج في تمهل مزهوًّا بثيابـه النظيفة الأنيقة وحقيبته المدرسية الجديدة.

شعر أحمد برعدة تسري في بدنه عنـدما رأى هنومـة. لكنـه تمالـك رباطة جأشه بسرعة. وتظاهر بأنه قوي. وتساءل مقلدًا لهجة أبيه:

- إلام تطمحين يا سيدتي من وراء وقوفك أمام بـاب شـقة الأسـتاذ محروس أبو العزايم المحامي بالاستئناف؟

أجابت هنومة وهي تخفي ابتسامها:

- لا أطمح إلى شيء. اعتبرني ضيفة. أريد أن أتعرف بوالدتك.

قدماي تؤلمانني من كثرة الوقوف. ورفضت والدتك أن تستقبلني.

نظر أحمد إلى هنومة ووجدها ترميـه بنظـرات غريبـة لم يسـتطع أن يدرك كنهها، فكاد بدنه يقشعر. وتفاقم في نفس أحمد هذا الشـعور؛ لأن

هنومة سألته عدة أسئلة لم تخطر له على بال. فوقف برهة مترددًا.

نظر أحمد إلى هنومة بتوجس. وضغط على زر جرس الباب. ووقف برهة ينتظر بترقب. ثم ضغط على زر الجرس مرة ثانية وثالثة دون أن يسمع إجابة. عندئذ نادى على سالي بصوت مرتفع.

ردت سالي من داخل الشقة ترجوه أن ينتظر ثواني. وهرولت إلى والدتها في المطبخ وأخبرتها. فهمست نعيمة قائلة:

- افتحي الباب بالقدر الذي يسمح لأحمد بالمرور من خلاله واغلقي الباب بسرعة. إياك أن تتحدثي مع تلك السيدة إذا كانت لم تغادر.

قالت سالي وهي تسير مبتعدة عن المطبخ:

- هو كذلك يا أمي.

فعلت سالي ما أمرتها أمها أن تفعل. فمر أحمد من الباب بسرعة.

دفعت سالي الباب لتغلقه غير أن هنومة وقفت في فرجة الباب، وأزاحت الباب للداخل لكي تمر من خلاله. فكادت سالي تسقط على الأرض، ورغم قوة الدفعة صاحت في استغاثة منادية على أمها.

رجعت هنومة إلى الخلف بضع خطوات. وجاء أحمد من داخل

الشقة مهرولًا. وسأل سالي إن كانت هنومة حاولت أن تدخل وراءه أم لا.

أجابت سالي بالإيجاب. فغضب أحمد وقال:

- لماذا استغفلتني أيتها السيدة؟ ماذا تريدين منا؟

ضحكت هنومة ضحكة ماجنة إلى حد ما وقالت في رقة مفتعلة:

- دعتني المحروسة أختك إلى شرب الشاي. وأحجمت عندما رأيتك غاضبًا.

وعلى الرغم من أن أحمد لم يسبق نعيمة في الوصول إلى سالي إلا ببضع خطوات، وقفت نعيمة ترقب الموقف في صمت، وعندما فاهت هنومة بعبارتها الأخيرة. صاحت نعيمة قائلة:

- ليس هذا صحيحًا. لم يحدث هذا.

ومنعت سالي من أن تنفي التهمة عن نفسها.

فأطلقت هنومة ضحكة جوفاء. وقالت لنعيمة:

- ابنتك رقيقة ... في غاية الرقة ... وحسناء أيضًا ... كوالدتها.

قالت نعيمة في لهجة اتسمت بالغضب:

- دعينا لشأننا أيتها المرأة.

وضعت نعيمة يدها اليمنى على الباب تريد أن تغلقه.

فجأة أجهشت هنومة بالبكاء وأخذت تندب خطها العاثر الذي جعلها تحيا في ظلام دامس لا يكاد يصل إليه بصيص من الضوء.

استولت الدهشة على نعيمة وأحمد وسالي وتسمر كل منهم في مكانه وتوقفت عقولهم عن التفكير وعجزت ألسنتهم عن النطق لوقع المفاجأة.

بعد قليل أفاق ثلاثتهم على صوت محروس يقول:

- برافو ... هائل ... رائع ... منظر جميل.

وأرسل محروس ضحكة صاخبة ارتجت لها أرجاء المنزل. وأطرقت هنومة برأسها في حياء وخفر مفتعلين.

اتجهت أنظار الجميع إلى محروس. وكان واقفًا وراء هنومة على بعد خطوتين منها. ابتسمت نعيمة وولديها في سرور بالغ. وانتابهم الشعور بالارتياح.

استأنف محروس سيره ووقف بجوار زوجته. وقال بأدب:

- يؤسفني أيتها السيدة أن أقول لك إن مشكلتك هذه التي لا أعرف عنها شيئًا ... تكمن في أنك سيدة طيبة ... حسنة الخلق ... رقيقة الطباع ... لجأت إلى سيدة ... لا يجدي اللجوء إليها فتيلًا. اللجوء إلى الرجل أفضل. الرجل هو الحصن ... هو الأمان. شخصيًّا أنا يسرني أن أدعوك إلى ...

قاطعته نعيمة قائلة بذعر:

- تدعوها إلام؟

وفي نفس الوقت نظر أحمد وسالي إلى والدهما في دهشة. وقالا في نفس واحد:

- إلام يا أبي؟

ضحك محروس. وقال:

- لا شيء.

نظر محروس إلى هنومة. وقال:

- صحبتك السلامة، أيتها السيدة.

مر محروس من باب الشقة ووقف على بعد خطوتين من الباب.

تبعته هنومة، وكادت تمر من الباب لولا أن محروس وضع يد على الباب واليد الأخرى على الجدار كأنه يريد أن يمنع هنومة من المرور من الباب.

أطرقت هنومة برأسها في ضيق. ووقفت مترددة لحظة.

عندئذ أغلق محروس الباب الخارجي برفق، وأحكم إغلاق الباب. وأمر زوجته وولديه بأن ينصرف كل منهم إلى حال سبيله.

قالت نعيمة مبتسمة:

- أريد أن أعرف هل ذهبت أم لا؟

ونظرت من العين السحرية التي بالباب. ورأت هنومة واقفة تفكر، واستدارت فجأة وأولت الباب ظهرها في ضيق. وسارت متجهة إلى الدرج.

ابتسمت نعيمة في عدم تصديق، وتابعتها بناظريها إلى أن غابت عن عينيها. ثم اتجهت إلى داخل الشقة.

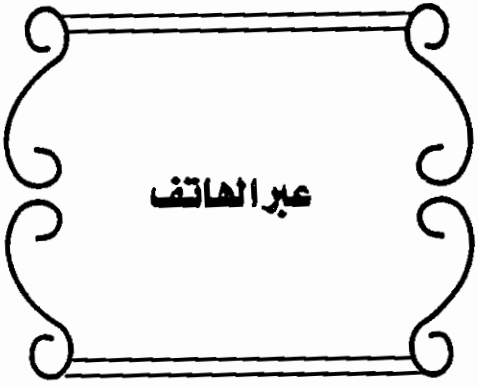
عبر الهاتف

عبر الهاتف

كانت الساعة تقترب من العاشرة صباحًا عندما غادرت الدكتورة صفاء منزلها بحي الزمالك حاملة حقيبة يدها وحقيبة أوراقها.

رأت صفاء البواب واقفًا في الشارع قرب باب العمارة يتحدث إلى أحد السكان، ويجادله في أسعار بعض السلع التي اشتراها له فحيته بإشارة من يدها وسارت في جدية متجهة صوب جراج المنزل.

ذهبت صفاء إلى سيارتها. فذهب السائس إلى السيارة وكان واقفًا على مقربة منها. وبادر صفاء بالتحية. وردت صفاء التحية باقتضاب.

سأل السائس صفاء عن زوجها الدكتور محمود، وابنها الطبيب عاصم، وابنتها الأستاذة سامية. فأجابت بأنهم في المصيف.

فصعدت صفاء إلى سيارتها. وجلست وراء مقعد القيادة. وأدارت محرك السيارة. ونفحت السائس بورقة مالية. فشكرها. وقادت صفاء السيارة. وانطلقت بها وخرجت من الجراج.

اقتربت صفاء بالسيارة من مبنى جامعة القاهرة، ومرت من الباب

الرئيسي. واتجهت نحو كلية العلوم، وأوقفت السيارة وهبطت منها وأغلقت الباب، وذهبت إلى مكتبها بقسم الكيمياء.

جلست صفاء وراء المكتب. ووضعت حقيبة الأوراق أمامها. وفتحتها وتناولت ظرفًا سميكًا وأغلقت الحقيبة. ثم وضعت الحقيبة في درج المكتب ومسكت الظرف.

فجأة شق السكون الذي ران على الحجرة رنين جرس الهاتف الذي وضع على المكتب إلى اليمين، فرفعت صفاء السماعة. وقالت:

- آلو.

وبلغ أذنيها من الطرف الآخر للسماعة صوت رقيق شديد العذوبة يقول:

- كيف حالك يا دكتورة صفاء؟

- الحمد لله. عال. سرني أن أسمع صوتك يا أستاذة أمينة.

- أشكرك. أنت دائمًا هكذا تجبرين بخاطري ... إذا سمحت يا دكتورة صفاء أريد صور أبحاث الأساتذة المشتركين في مؤتمر البيئة العالمي المنعقد في القاهرة في اليوم الخامس عشر من شهر يوليو.

- هو كذلك.

- أرجو عدم التأخير. رئيس الجامعة طلبها مني اليوم.

- هو كذلك. سأسلمها لسيادته بنفسي اليوم. بعد حوالي ...

ونظرت صفاء إلى الساعة في معصمها وأردفت:

- بعد حوالي ساعة.

- شكرًا لك. مع السلامة.

- مع السلامة.

وضعت صفاء السماعة، وفتحت الظرف. وألقت على محتوياته نظرة سريعة متفحصة، وأعادت الأوراق إلى الظرف. وتأهبت لتغادر الحجرة.

لكن دلف إلى الحجرة في تلك اللحظة صحفي شاب رحبت به صفاء أيما ترحيب. ودعته إلى الجلوس، ودار بينه وبين صفاء حديث قصير حول مؤتمر البيئة العالمي ثم غادر الحجرة.

بعد لحظات دق جرس الهاتف، ورفعت صفاء السماعة.

وبعد تبادل التحيات والسؤال عن المتحدث. قال المتحدث:

- معك الدكتور كمال محسن رئيس جمعية أصدقاء البيئة. إنني باسم أعضاء الجمعية أدعو سيادتك إلى الحديث عن "الاحتباس الحراري"، في الندوة المنعقدة في اليوم الحادي والعشرين من شهر يوليو.

وسأرسل لسيادتك مع مندوب الجمعية بطاقة دعوة بها كافة البيانات المطلوبة.

تمرد ذهن صفاء ورفض أن يستوعب كلمة واحدة بعد ذلك رغم أن رئيس الجمعية فاه بكلمات كثيرة. فقد تملك صفاء الشعور بأن شيء ثقيل مثل الحجر جثم على صدرها ولا يريد أن يتزحزح من مكانه بسبب كثرة ما يثقل على كاهلها من أعمال. غير أن صفاء وافقت على قبول الدعوة. وأنهت المكالمة الهاتفية بسرعة.

ثم جمعت صفاء بعض الأوراق ووضعتها في الظرف. وبعد لحظات كانت صفاء تسير في الممر حاملة حقيبة أوراقها لتذهب إلى رئيس الجامعة.

شغلت صفاء بعد ذلك بأعمالها للمؤتمر والكلية إلى حد لم يترك لها فسحة من الوقت تكفي للتفكير في ما تكتبه للندوة.

من ثم استولت الحيرة على صفاء؛ لأن الوقت مر بسرعة كبيرة ولم يبق على موعد انعقاد الندوة سوى يوم واحد.

وبعد أن أمعنت صفاء التفكير بحثت عن محاضرة سابقة لها في نفس الموضوع. وقر عزمها على أن تلخصها وتجعلها مناسبة للندوة.

في اليوم المحدد لعقد الندوة، استيقظت صفاء من نومها مبكرة عن موعد استيقاظها. ولم تذهب إلى عملها بالجامعة. وجلست وراء المكتب في حجرتها بالمنزل وشرعت في الكتابة فقالت:

- يعتبر غاز ثاني أكسيد الكربون الناتج عن احتراق الوقود في السيارات والمصانع وغيرها أحد الأسباب الهامة لارتفاع نسبة تلوث الهواء في المدن و...

فجأة قرب منتصف النهار شق السكون المخيم على الشقة رنين جرس الهاتف. ترددت صفاء برهة قبل أن ترفع السماعة لترد.

فقد أرادت ألا تترك الكتابة، لكن هتف هاجس في صدرها يدعوها إلى أن ترد لأن ربما يكون المتحدث زوجها أو أحد ولديها.

رفعت صفاء السماعة وقالت:

- آلو ... مساء الخير.

- مساء الخير. إذا سمحت أريد أن أتحدث إلى المهندس محمود.

-المهندس محمود من؟

- المهندس محمود كامل صاحب المصنع. أليس هذا منزله؟

- هو الدكتور محمود ... الأستاذ بكلية الهندسة ... المهم ... هو حاليًا بالمصيف.

صمتت المتحدثة لحظة. ثم تساءلت:

- متى يعود؟

- لا أعرف متى يعود. من أنت؟

- أنا سالي. عاملة بالمصنع. أريد أن أتحدث إليه في أمر هام يخص العمل في المصنع.

- هل توجد مشكلة؟

لاذت سالي بالصمت لحظة فكرت خلالها. ثم أجابت:

- نعم. توجد مشكلة خطيرة ... لا أدري كيف أحلها.

ازداد اهتمام صفاء وقالت:

- قولي ... ربما استطعت أن أعاونك.

لم ترد سالي. لكنها أجهشت بالبكاء وبلغ صوت نشيجها أذن صفاء. فتأثرت لحال سالي تأثرًا شديدًا. ورغم رغبتها في إنهاء المكالمة لتعود إلى ما كانت عليه تساءلت:

- ماذا يبكيك يا آنسة؟

كانت هذه الكلمات بمثابة زناد ضغطت عليه صفاء لينطلق من فم سالي سيل من كلمات لم تفهم صفاء منها معنى كلمة واحدة.

أحست صفاء بالضيق والكمد. وانتظرت لحظة ثم أعادت السماعة إلى مكانها برفق. وعادت إلى النظر في أوراقها.

مضت بضع دقائق، عاد بعدها جرس الهاتف إلى الرنين.

رفعت صفاء السماعة، وردت على المتحدث، وكانت سالي.

قالت صفاء في حزم:

- قلت لك ما هي مشكلتك، رفضت أن تخبريني بها. إذن ... دعيني لشأني. لا يوجد لدي وقت.

أعادت صفاء السماعة إلى مكانها. وقبل أن تمسك القلم لتكتب بلغ أذنيها صوت رنين جرس الهاتف، فرفعت السماعة. ووضعتها على أذنها. وسمعت صوت سالي.

- المشكلة هي أن ...

لم تكمل سالي عبارتها. تعجبت صفاء من مسلك سالي وأخذت تشجعها على الحديث.

عندما لم تفه الفتاة بحرف واحد بعد ذلك، أعادت صفاء السماعة برفق، واستأنفت الكتابة، فكتبت حوالي صفحة. ثم دق جرس الهاتف.

عاتبت سالي صفاء لأنها ألقت السماعة في وجهها. ثم قالت متوسلة:

- أرجو أن تخبريني برقم هاتف الدكتور محمود. يجب علي أن أخبره بما حدث من مهندس الصيانة.

قالت صفاء باستغراب:

- لا أعرف رقم هاتف الفندق. إنما ... ماذا فعل مهندس الصيانة؟

أجابت سالي في غضب شديد:

- تعطلت ماكينة الخياطة التي أعمل عليها. طلبت منه أن يصلحها فرفض. وعندما طلبت منه ذلك مرة أخرى رفض بإصرار. ثم ...

أجهشت سالي بالبكاء. بعد لحظة قالت:

- طردني. قال لي إنني لا أعود إلى المصنع إلا بعد أن يعود الدكتور محمود. قال لي هذا شأنك وليس شأني قلت له مم أعيش؟ قال لا شأن لي بذلك ...

صمتت سالي لحظة ثم أردفت:

- هل يصح أن يقول لي ذلك يا أستاذة؟! إن صلاح هذا ... و...

أخذت سالي تكيل الاتهامات لصلاح، وأصغت صفاء إليها في دهشة دون أن تنطق حرفًا واحدًا. ثم تساءلت سالي:

- هل يرضيك يا أستاذة أن يفعل ذلك؟

أجابت صفاء بضيق:

- لا . لا يرضيني ... لكن ... لماذا يفعل ذلك؟

أجابت سالي في غضب:

- يكرهني بدون سبب. يضطهدني لا أدري لماذا. سليه أنت عن

السبب إذا أردت أن تعرفي.

أعادت سالي السماعة إلى مكانها بقوة.

غضبت صفاء وفكرت في عدم الرد على الهاتف حتى لا تضطر إلى أن تتحدث مع سالي.

بعد قليل عادت صفاء إلى التفكير في موضوع الندوة. وأرادت أن تستأنف الكتابة. لكنها شعرت بأنها قد عجزت عن الكتابة. إذ شغل ذهنها بالتفكير في ماكينة الخياطة التي تعطلت. وعندما لم تستطع أن تصرف ذهنها عن التفكير فيها اتصلت بالمصنع.

تحدثت صفاء إلى صلاح مهندس الصيانة في الهاتف وروت له بإيجاز ما سمعته من سالي.

رد صلاح بصوت استشفت صفاء من نبراته أنه ممتزج بالغضب. قال:

- إذا علمت بما فعلت يا سالي ما اهتممت بها هذا الاهتمام. ويحتمل أن تفعلي مثل ما فعلت وأكثر.

تساءلت صفاء باستغراب:

- لماذا؟

- منذ أيام توسلت إليَّ سالي كي أعين قريبًا لها بالمصنع.

قالت إنه ابن عمتها ... وأنه حصل على دبلوم صنايع منذ عشرة أعوام ... وأنه لم يجد عملًا إلى الآن. نفذت لها طلبها. سعيت لدى الدكتور محمود لكي يلحق الشاب بالعمل في المصنع.

صمت صلاح لحظة، شعرت صفاء عبر خط الهاتف أن صلاح ابتلع خلالها ريقه. ثم أضاف صلاح قائلًا:

- نما إلى علمي أن سالي ورفعت هذا ... كثيرًا ما يهملان عملهما ويتحدثان ويتركان العمل. لفت نظر سالي إلى ذلك ... نفته بشدة. قالت هناك أناس يمقتونها ويحقدون عليها. قلت يحتمل ... لكن بعد ذلك أثبتت لي الأيام صحة ما قيل عنها ... وما حدث أمس يفوق كل ما سمعت عنها.

تساءلت صفاء في الهاتف باهتمام:

- ماذا حدث أمس؟

رد صلاح:

- كانت سالي تعمل ورفعت واقفًا بجوارها يتحدث إليها. انحشر النسيج في ماكينة الخياطة وانكسر ترس مهم وتعطلت الماكينة في الحال.

نادت عليَّ سالي كي أصلح الماكينة. حاولت ولم أستطع. قلت لسالي: إنها ما كان يجب عليها أن تفعل ذلك. أهانتني أمام الحاضرين وسبتني واتهمتني بأنني تآمرت مع خطيبها السابق لكي يتركها خطيبها الجديد. مع العلم بأنني لا أعرف خطيبها السابق هذا، ولم أكن أعرف أساسًا أنها مخطوبة.

ابتسمت صفاء وقالت له في رجاء:

- أرجو أن تمنح سالي فرصة أخرى على الأقل من أجل مصلحة العمل ... ومصلحتها .. مؤكد أنها تحتاج إلى العمل .

حذَّر سالي من أن تكرر ذلك.

قال صلاح في لهجة قاطعة:

- يؤسفني أن أقول يا دكتورة صفاء أن هذه هي أوامر المهندس محمود.

أحست صفاء ببعض الضيق وأنهت المكالمة وعادت إلى ما كانت

تفعل.

بعد قليل ارتفع رنين جرس الهاتف مرة أخرى.

لم تكن صفاء تريد أن ترد لأن الوقت مر بسرعة دون أن تنجز شيئًا يذكر. كما أنها لا تريد أن تهتم بمشكلة سالي أكثر من ذلك.

ومن ثم ترددت صفاء برهة قبل أن ترفع سماعة الهاتف.

رفعت صفاء السماعة وجاءها من الطرف الآخر صوت محمود زوجها. وبعد تبادل التحيات والسؤال عن الأحوال، قال محمود:

- اشتقت إليك أنا والأبناء. نريد أن يجتمع شمل الأسرة في المصيف. طبعًا ستأتين بالقطار.

قالت صفاء:

- أنتم أيضًا وحشتموني. إنني في أشد الشوق إليكم. سأصل إليكم غدًا في قطار الساعة السابعة مساء. محطة سيدي جابر.

قال محمود بابتسام:

- سأجعل أم سالم الطاهية تطهو لنا جمبري على العشاء.

- هو كذلك.

- مع السلامة.

- مع السلامة.

أعادت صفاء السماعة إلى مكانها بارتياح شديد. فقد جعلها تشعر بالسرور إحساسها بأن تلتقي بأفراد أسرتها، وتقضي معهم عدة أيام على رمال الشاطئ تنتزعها عنوة من زحمة أعمالها بالقاهرة.

نفضت صفاء عن ذهنها التفكير في ذكرياتها بالإسكندرية. وعادت إلى الكتابة بهمة ونشاط كبيرين.

عزمت صفاء على أن تفرغ من كتابة المقال للندوة قرب الخامسة والنصف مساء، وأن تتأهب بعد ذلك للذهاب إلى الندوة.

قرأت صفاء بسرعة بصوت هامس آخر فقرة كتبتها لتكمل المقال فقالت:

- الأشعة فوق البنفسجية الصادرة من الشمس تمر منها إلى الأرض خلال طبقات الهواء. فتمتصها الأرض وتحولها إلى نوع آخر من الأشعة هو الأشعة «دون الحمراء». وتتسم هذه الأشعة بأن قدرتها على النفاذ خلال طبقات الهواء لأعلى أقل من قدرة الأشعة فوق البنفسجية على

النفاذ لأسفل، فتظل قريبة من سطح الأرض. والأشعة «دون الحمراء» ذات تأثير حراري يمتصها غاز ثاني أكسيد الكربون وبعض الغازات الأخرى القريبة من الأرض مثل غاز النشادر. وينتج عن ذلك ارتفاع درجة الحرارة. ومن هنا ...

عندئذ انطلق رنين جرس الهاتف وقطع حبل أفكار صفاء، فتوقفت عن الكتابة، وتناولت السماعة ووضعتها على أذنها بشيء من الضيق.

سمعت صفاء صوت سالي عند الطرف الآخر يقول بلهجة تنطوى على الاستعطاف:

- ما ... إلام توصلت؟

- لا جديد.

صاحت سالي بغضب:

- لا جديد؟! ... كيف؟ أنت وعدتني بأن أعود إلى العمل. لماذا لم تفِ بما وعدت؟

فكرت صفاء لحظة وأجابت:

- أنا لم أعدك بشيء. تخيلت أنت أشياء لا شأن لي بها. ومهندس الصيانة لم يتراجع عن رأيه. انتظري إلى أن ...

قاطعتها سالي قائلة في غضب شديد:

- إذن ... هذه مؤامرة. أنت أيضًا شريكة فيها، إنك يا هانم زدت الأمور سوءًا وتعقيدًا. ليتك ما تدخلت. لم يبقَ إلا ...

فاهت سالي بألفاظ بذيئة. وألقت السماعة بقوة جعلت صفاء يتنابها الإحساس كأن سالي ألقت على أذنها حجرًا ثقيلًا.

ومن ثم أحست صفاء بضيق شديد. ولم تستطع أن تتمالك زمام نفسها إلا بعد فترة. فظلت جالسة مكانها والسماعة في يدها.

ثم أعادت صفاء السماعة إلى مكانها وعادت إلى أوراقها بغية أن تكتب. لكن الأفكار فرت هاربة من ذهن صفاء كأنها طيور هجرت أعشاشها.

عندئذ وضعت صفاء القلم جانبًا. واسترخت في جلستها لحظة تنظر إلى القوارب الطافية على سطح النيل من خلال النافذة. ثم نهضت وذهبت إلى المطبخ لتعد لنفسها فنجانًا من الشاي.

بعد دقائق عادت صفاء إلى حجرتها، وهي تحمل صينية صغيرة

عليها فنجان شاي. وضعت صفاء الصينية على طرف المكتب وجلست. وأسندت ظهرها إلى ظهر المقعد باسترخاء.

حانت من صفاء التفاتة إلى الساعة التي في معصمها. فوجدت عقاربها تشير إلى تمام الساعة السادسة. فاستولى على صفاء الإحساس بالضيق لأن لم يبقَ على موعد الندوة سوى ساعة واحدة.

زيارة من نوع خاص

زيارة من نوع خاص

وقفت سميحة في شرفة بالطابق الثالث من عمارة سكنية حديثة البناء، تقع في حي مدينة الشيخ زايد، وقد اعتمدت سميحة بمرفقيها على حافة جدار الشرفة، وشخصت ببصرها إلى المحطة.

كانت الساعة قد تجاوزت السابعة صباحًا بقليل عندما وصلت سيارة هيئة النقل العام المتجهة إلى ميدان التحرير.

استدارت سميحة في الحال وذهبت إلى الحجرة بسرعة وقالت:

- السيارة وصلت.

كان شحاتة مرتديًا ثياب الخروج ووقف أمام مرآة منضدة الزينة يلقي نظرة أخيرة على منظره قبل أن يغادر المنزل. خرج شحاتة إلى الردهة وتبعته سميحة.

حمل شحاتة حقيبة أوراقه من على المنضدة. وجاءت ابنته نجلاء من ناحية المطبخ حاملة صينية عليها فنجان شاي ذهبت بها نجلاء إلى والدها وقالت:

- الشاي يا أبي.

لاح الضيق على وجه شحاتة وقال:

- أخشى أن تفوتني السيارة.

وسار متجهًا إلى الباب الخارجي.

في هذه اللحظة خرج أيمن من باب حجرته حاملًا كرة صغيرة من الجلد ونادى على جده وعندما أجاب قال أيمن كأنه يعاتبه:

- لقد ضحكت مني يا جدي. وعدتنى بأن نذهب اليوم إلى النادي.

قال شحاتة:

- سأفي بوعدي بعد أن أعود من العمل.

لاح الضيق على وجه أيمن وقال:

- سأخاصمك إلى أن تأتي من العمل.

ابتسم شحاتة ودنا من حفيده وطبع على وجنتيه قبلة. وقال:

- ها أنا صالحتك.

وأسرع في سيره متجهًا إلى باب الشقة ... وغادر وأغلق الباب وراءه برفق.

قال أيمن بحنق:

- ولو ... لن أصالحه إلا بعد أن يصطحبني إلى النادي.

ضحكت سميحة ونجلاء وقالت أخراهما:

- ألا يكفيك يا أيمن أنك جعلت جدك يسهر معك أمام الكمبيوتر ليقرأ لك دليل الكتاب الإلكتروني، ويستيقظ في وقت متأخر ويتأخر عن عمله؟

قال أيمن بعناد:

- لا يكفيني ... لا شأن لك بهذا. هو جدي ... يحبني وأحبه. اذهبي أنت إلى المطبخ بالشاي الذي رفض جدي أن يشربه لأنك تأخرت في صنعه.

ضحكت سميحة في سرور ولثمت وجنتي حفيدها بحنان، فأزاحها عنه برفق، ومسح وجنتيه باستياء لمحو أثري القبلتين وهرول إلى الشرفة.

تلفت أيمن حوله إلى أن وجد شيئًا يقف عليه ويجعله مرتفعًا قليلًا عن الأرض، ونظر إلى الشارع، ورأى شحاتة يتجه إلى السيارة، فصاح قائلًا:

- جدي ... مع السلامة يا جدي.

التفت شحاتة إلى الوراء، ونظر إلى أيمن ورد التحية بإشارة من يده اليمنى. وذهب إلى السيارة. وجلس إلى جانب النافذة.

بعد قليل انطلقت السيارة. وفكر شحاتة فيما يجب أن ينجز من أعمال في يومه. وتذكر وعده لأيمن وعقد النية على أن يفي بوعده. ثم تذكر أن زيارة نجلاء وأيمن له ولسميحة أوشكت على أن تنتهي. فشعر بالضيق وندم على أنه سمح لابنته بأن تتزوج وتقيم في مدينة أخرى. ثم تذكر ما ترفل فيه من سعادة فتلاشى من صدره هذا الشعور وتشاغل بالنظر إلى المرئيات التي أخذت تتتابع أمام ناظريه إلى أن هبط من السيارة في نهاية الخط.

استقل شحاتة سيارة أخرى، وهبط في محطة ضريح سعد حيث سار بخطا واسعة وذهب إلى وزارة التربية والتعليم.

بعد دقائق كان شحاتة على وشك أن يهرول وهو يسير في الممر الذي تقع به حجرة شئون العاملين إلى أن دلف من الباب.

كان حسين مدير شئون العاملين جالسًا وراء مكتبه. وما أن وقع

بصره على شحاتة حتى أشار إلى الموظف بأن يقدم لشحاتة دفتر التأخيرات لكي يوقع. وقال لشحاتة:

- ثلاثون دقيقة وقت لا يستهان به يا أستاذ شحاتة.

- المواصلات يا أستاذ حسين.

- يا للمواصلات التي أصبحت مشجبًا يستخدمه كل من يريد أن يتأخر!

قام شحاتة بالتوقيع في دفتر التأخيرات دون أن يرد وغادر حجرة شئون العاملين.

مر شحاتة من باب حجرة مديري المتابعة. ونظر إلى أدهم مدير إدارة المتابعة، فألفاه جالسًا وراء مكتبه يقوم بفحص بعض الأوراق. فألقى التحية وجلس. ورد عليه زملاؤه التحية مبتسمين.

رفع أدهم عينيه عن الأوراق. ونظر إلى شحاتة نظرة ذات معنى وقال:

- إننا ننتظرك منذ أكثر من نصف ساعة. المهم حمدًا لله على سلامتك.

قال شحاتة:

- سلمك الله. أرجو أن تقبل اعتذاري عن التأخير.

- قبلت اعتذارك.

قال أدهم ذلك وهو يضغط على زر جرس على الحائط وراءه. ولم تمضِ إلا ثوانٍ وجاء العامل إلى الحجرة.

سأله أدهم عن وكيل المديرية وعلم أنه بمكتبه. فأعطى أدهم للعامل الأوراق التي كانت على المكتب. وأمره بأن يسلمها في مكتب وكيل المديرية. وطلب من العامل أن يوقع على الدفتر باستلامها. فقام العامل بتنفيذ ما طلب منه وغادر الحجرة في الحال.

نظر أدهم إلى الجالسين والجالسات وقال:

- نبدأ الآن الاجتماع.

بعد لحظات كان أدهم يتلو على أسماع مديري المتابعة تعليمات وكيل الوزارة. وأخذ ينتقل في الحديث من بند إلى آخر.

دق جرس الهاتف فجأة. ورفع أدهم السماعة ليرد. قال بضع كلمات ونادى على شحاتة.

ذهب شحاتة إلى الهاتف ورد على المتحدث وكانت زوجه سميحة.

تبادل شحاتة معها عدة كلمات وأنهى المكالمة وعاد إلى مكانه وجلس في سهوم.

سأله أدهم بحذر:

- ما الخطب يا أستاذ شحاتة؟

أجاب شحاتة:

- تريد ابنتي أن تسافر اليوم في قطار الساعة الثانية. ولا بد أن أوصلها إلى المحطة.

ابتسم أدهم وقال:

- لا تبتئس هكذا. اذهب إليها بعد أن ينتهي الاجتماع. هل هي زوجة ضابط شرطة؟

ابتسم شحاتة بدوره وأجاب:

- نعم ... هي.

بعد ذلك عاد أدهم إلى قراءة النشرات. ثم تحدث عن توزيع العمل. وفتح درج المكتب. وتناول منه كشفًا به اسم كل مدير أو مديرة متابعة والمدارس التي يزورها أو تزورها والإدارات التابعة لها

والمحافظات ومواعيد الزيارة. وطلب من كل مدير متابعة أن يقوم بالتوقيع أمام اسمه.

بعد أن تثبت أدهم من أن كل مدير علم بالعمل المكلف به في الفترة القادمة أنهى الاجتماع، ونظر إلى شحاتة، وقال:

- يمكنك أن تذهب الآن يا أستاذ شحاتة.

شكره شحاتة وغادر الحجرة. وفي الوقت المناسب كان شحاتة ونجلاء وأيمن واقفين على رصيف محطة القطار المار على مدينة المنزلة.

ما لبث أن سمع ثلاثتهم صفير القطار عاليًا مدويًا في الفضاء. وعلى الأثر اقترب القطار من رصيف المحطة ببطء إلى أن توقف عن السير. وكان رصيف المحطة يموج بالحركة والنشاط الدائبين. وقد توافد ركاب القطار ما بين صاعد إليه وهابط منه. واختلط الحابل بالنابل ويوجد أيضًا مودعون ومنتظرون وباعة وموظفو وعمال السكك الحديدية.

صعدت نجلاء إلى القطار وفي يدها اليمنى حقيبة الثياب. وتشبثت يدها اليسرى بيد أيمن كأنها تخشى أن يفر منها أيمن في هذا الزحام.

وسارت في عربة القطار وذهبت إلى مقعدها وجلست وأيمن إلى جوارها.

وقف شحاتة أمام النافذة التي جلست وراءها ابنته وولدها إلى أن انطلق صفير القطار مرة أخرى. وما لبث القطار أن تحرك ببطء في البداية وازدادت سرعته تدريجيًا إلى أن اختفى تمامًا. فمسح شحاتة براحة يده دمعة أبت إلا أن تنحدر. واستدار وسار على رصيف المحطة لكي يعود إلى منزله.

في مساء اليوم التالي كان شحاتة جالسًا على مقعد بالردهة، يفكر فيما يمكن عمله لإنجاز العمل المنوط به، وهو زيارة عدد من مدارس محافظتي الدقهلية والبحيرة، وسيبدأ الجولة بزيارة بضع مدارس بمدينة المنصورة.

أحس شحاتة بشيء من الرهبة؛ لأنه لم يكن قد سافر إلى المنصورة من قبل. غير أنه أخذ يرتب في ذهنه ما سيحتاج إليه، وعندما استقر رأيه نهض وذهب إلى حجرته ليعد حقيبة السفر.

في هذه اللحظة كانت سميحة واقفة أمام مرآة منضدة الزينة تمشط

شعرها. ورأت صورة شحاتة منعكسة في المرآة كأنه يتقدم نحوها. التفتت سميحة إليه وابتسمت وقالت:

- كنت على وشك أن أذهب إليك لأسألك إن كنت تريد فنجانًا من الشاي.

قال شحاتة:

- لا أريد شايًا. أريد أن أعد حقيبة السفر لأسافر غدًا.

وذهب إلى خزانة الثياب وفتحها. ووضعت سميحة المشط على المنضدة. وذهبت إلى شحاتة لتعاونه وقد لاح شيء من الوجوم على وجهها.

في اليوم التالي قرب العصر، هبط شحاتة من القطار في مدينة المنصورة، وسار على رصيف المحطة حاملًا حقيبة السفر ومر من بوابة المحطة وسط جمع غفير من البشر.

وما أن سار شحاتة مبتعدًا عن البوابة بضع خطوات حتى وجد سيارة أجرة توقفت في الحال عندما أشار بيده لقائدها. طلب شحاتة من السائق أن يوصله إلى فندق الحياة، فوافق وأمر شحاتة بأن يصعد إلى السيارة ففعل.

بعد قليل كان شحاتة واقفًا أمام موظف الاستقبال بالفندق يسجل بياناته في الدفتر ويحجز غرفة. ثم أمر موظف الاستقبال أحد الخدم بأن يحمل حقيبة شحاتة ويوصل شحاته إلى حجرته. فحمل الخادم الحقيبة واتجه إلى المصعد وتبعه شحاتة.

كانت حجرة شحاتة بالفندق تطل على منظر ساحر خلاب جذب شحاتة وجعله يبدل ثيابه بسرعة ويذهب إلى الشرفة ليمتع ناظريه بمشاهدة هذا المنظر. وقد اعتمد شحاتة بمرفقيه على سور الشرفة وأخذ يتأمل المنظر كأنه يعب من جماله بناظريه.

ثم ذهب شحاتة إلى مطعم الفندق ليتناول طعام العشاء. وقام باختيار مائدة في مكان هادئ وجلس ينتظر مجيء الخادم بالطعام الذي طلبه. وعندما جاء تناول شحاتة بضع لقيمات ودق جرس الهاتف المحمول فجأة. فازدرد شحاتة ما بفمه ومد يده إلى جيبه وتناول الهاتف ليرد.

سمع شحاتة صوتًا نسائيًا عزيزًا عليه إلى أقصى حد هو صوت نجلاء ابنته تقول:

- طبت مساء يا أبي.

- طبت مساء يا نجلاء. كيف حالك أنت وزوجك الكابتن كمال وأيمن؟

- بخير ... وأمي كيف حالها؟

- بخير يا ابنتي. طمئنيني على أحوالك.

- رقي كمال إلى رائد. نقل إلى قسم شرطة المنصورة. نحن نقيم في شارع دار ابن لقمان. «رقم تسعة» «الدور الرابع».

- مبارك.

- مبارك عليك. أرجو أن تزورنا في القريب العاجل.

كان تأثير هذه المكالمة على نفس شحاتة مثل تأثير البلسم على الجرح الخطير في وقت حدوثه. فعاد شحاتة إلى تناول عشائه في شهية أشد وفي حالة نفسية أفضل.

في صباح اليوم التالي ذهب شحاتة إلى مدرسة، وجلس في حجرة مكتب المدير، وطلب من المدير أن يأمر المسئول عن كل قسم بأن يحضر له الدفاتر والسجلات.

فحص شحاتة دفاتر كل قسم على حدة بتمعن في وجود المعلم المسئول عن القسم. وأبدى ملاحظاته في رقة وأدب إذا كان لديه ملاحظات. ثم طلب من مدير المدرسة أن يرافقه في المرور على هذه الأقسام. ومن ثم تأكد شحاتة من أن المعلومات التي كتبها صحيحة. ورأى بنفسه إذا كان المعلم يؤدي عمله بالكفاءة المطلوبة للنهوض بالعملية التعليمية أم لا.

زار شحاتة ثلاث مدارس. وفي المدرسة الرابعة التقى شحاتة بالمشرفين على الأقسام ورأى الدفاتر والسجلات. ثم طلب من الأستاذ صفوت مدير المدرسة أن يرافقه في المرور على الفصول. فذهبا إلى المبنى الرئيسي وزار جميع الفصول والحجرات إلى أن انتهى المبنى.

خرج شحاتة وصفوت من المبنى وسارا في الفناء ليتجها إلى المبنى المقابل. وقبل أن يصلا إليه وقف شحاتة يتأمل واجهة المبنى وتبادل الحديث مع صفوت عن اللوحات المعلقة على الواجهة.

فجأة سقطت على الرجلين كمية من الماء الملون. قفز الرجلان

مبتعدان عن الماء. وراح كل منهما يزيل عن ثيابه أثر الماء بلا جدوى.

وصاح صفوت في غضب:

- من الذي يسكب الماء هكذا؟ فتح أيها الأعمى.

وامتزج في صدره الشعور بالغضب مع الإحساس بالخجل.

وهرول صوب المبنى وقال بوعيد:

- والله لأنتقمن منك أيها المهمل.

فجأة توقف صفوت عن السير. ولاحت على وجهه أمارات الألم.

فانزعج شحاتة وسأله عما ألم به. فأجاب صفوت:

- شد عضلي. أحس بألم شديد في ساقي اليسرى.

مد شحاتة ذراعه ناحية صفوت. وقال:

- استند إلى ذراعي لأذهب بك إلى حجرة المكتب.

قال صفوت:

- ساقي تؤلمني جدًّا. لن أستطيع أن أسير.

- انتظرني إذن.

ذهب شحاتة إلى عيادة التأمين الصحي واستدعي الطبيب. وذهبا معًا إلى صفوت. ووجداه جالسًا على مقعد.أحضره له أحد العمال.

قام الطبيب بتحريك قدم صفوت يمنة ويسرة بطريقة معينة. وتبدد بعد دقائق شيء من الكآبة البادية على وجه صفوت والتي نجمت عن إحساسه بالألم. عندئذ قال شحاتة:

- أرجو أن تسمح لي بأن أذهب إلى الطابق الثاني من أجل الموضوع الذي تعرفه.

- اذهب.

صعد شحاتة إلى الطابق الثاني. ووقف في الممر. ونظر إلى اتجاه. فأبصر زجاجة من البلاستيك المائل قليلًا إلى الزرقة بها كمية كبيرة من الماء وضعت بجوار السور. وعلى مقربة منها وقف عامل وبيده فرشاة أخرى. ذهب شحاتة إلى العامل وسأله:

- هل تنوي أن تغسل هذه الفرشاة؟

لاحت الدهشة على وجه العامل ورد قائلًا:

- نعم.

ثم أردف بزهو:

- إنني أغسل الفرشاة بنفسي حتى لا ينزل التلميذ إلى صنبور المياه ويتأخر عن الدرس.

قال شحاتة:

- من أمرك بأن تفعل ذلك؟

أجاب العامل:

- لا أحد. لم يطلب مني أحد. إنني أفعل ذلك من تلقاء نفسي. حتى اسأل الأبلة عطيات.

- من الأبلة عطيات؟

- معلمة التربية الفنية.

- أين هي؟

أشار العامل إلى الفصل المجاور. وقال:

- هناك.

ذهب شحاتة إلى الفصل الذي أشار نحوه العامل. ووقف خارج الباب.

كان باب الفصل مفتوحًا. وعطيات واقفة قرب الباب بترقب. طرق شحاتة على الباب ودخل ووقف على مسافة من الباب.

كان أيمن جالسًا بالفصل. وما أن رأى جده حتى أشرق وجهه من

الفرح وهرول إلى شحاتة وصافحه في سرور. وسحبه من ذراعه ليذهب معه إلى عطيات وقال:

- الأستاذة عطيات. معلمة التربية الفنية.

لم يحرك شحاتة ساكنًا. ولاح عليه الارتباك. بينما قالت عطيات في غضب:

- ممنوع منعًا باتًّا ذهاب أولياء الأمور إلى الفصول. انتظرني في حجرة المدير ياحضرة.

وأشارت إلى باب الفصل وقالت آمرة:

- تفضل الآن يا أستاذ ... اخرج من الفصل.

استولت الحيرة على أيمن، وتسمر في مكانه كالمذهول. بينما نظر شحاتة إلى عطيات وقال:

- لست ولي أمر التلميذ أنا مدير متابعة.

نظرت عطيات إلى شحاتة كالمشدوهة. ثم تمالكت زمام نفسها بعد لحظات وأخذ لسانها يلهج بأرق عبارات الأسف والاعتذار. واحمر وجه أيمن من شدة الخجل. وقال:

- ظننتك جدي أتي لزيارة المدرسة الجديدة كي يطمئن عليَّ.

ضحك التلاميذ وعلق بعضهم على الموقف. وقد نهرتهم المعلمة لكي يصمتوا. وذهب أيمن إلى مكانه بخطا سريعة ووضع رأسه على القمطر مستندًا على ذراعيه وبكى.

تأثر شحاتة لما لحق بأيمن. وانسكبت في جوفه موجة من الحنان تدفقت في عروقه. فقال لأيمن:

- لا تبكِ أيها التلميذ. اعتبرني جدك ... اعتبرني والدك وأرني رسمك.

لم يرفع أيمن رأسه عن القمطر. فأردف شحاتة بصوت أكثر ارتفاعًا:

- أرني رسمك أيها التلميذ.

حاول زميل أيمن الجالس بجواره أن يجعله ينهض فلم يستطع.

ومن ثم ذهبت عطيات إلى أيمن. ورفعت رأس أيمن من على القمطر برقة. وناولته كراسة الرسم وقالت في رجاء:

- يا أيمن ... لا تجعل الأستاذ المتابع يغضب منا أكثر من ذلك. هيا اذهب إليه لتريه ما رسمت.

نهض أيمن بتثاقل. وسار بخطا وئيدة متجهًا إلى شحاتة وتبعته عطيات.

تأمل شحاتة الرسم، وأبدى ملاحظاته تجاهه، وشجع أيمن على أن يرسم أفضل وأمره بأن يعود إلى مكانه. ثم قال للمعلمة في شبه همس:

- يخيل إليَّ أنه تلميذ نجيب.

ابتسمت عطيات وقالت:

- ربما. جاء أمس فقط من المنزلة. أنا رائدة الفصل.

صمتت عطيات برهة. ثم أردفت بتردد:

- متأسفة ... لأنني عاملتك على هذا النحو. ظننت أنك والد أيمن جاء يشكوني إلى المدير؛ لأنني طلبت من أيمن أن يحضر كراسة رسم جديدة وعلبة ألوان. أريد أن يتعلم التلاميذ استخدام الفرشاة في التلوين.

ابتسم شحاتة وقال في شيء من السخرية:

- وأن تعلمي العامل الوقوف خارج باب الفصل ... عند السور.

وغسل الفرش من ماء الزجاجة وإلقاء الماء الملون على من يدفعه سوء حظه إلى المرور بالفناء في هذه اللحظة ... وها هي النتيجة.

أشار شحاتة إلى بقع الألوان التي على قميصه وابتسم.

جاهدت عطيات كي تكتم الضحك دون جدوى. وزاد ذلك وجهها إشراقًا وجمالًا. إذا تورد وجهها فجأة.

قال شحاتة:

- يجب أن يعاقب المسيء. سأكتب ذلك فيما كتبت عن زيارتي للمدرسة.

غادر شحاتة الفصل تاركًا عطيات في حالة ضيق شديد.

ذهب شحاتة إلى الفناء وكان صفوت ما زال واقفًا. سأله شحاتة:

- هل ما زالت ساقك تؤلمك؟

- إنها الآن أفضل كثيرًا.

- حمدًا لله على سلامتك. إذن، سأمر على المبنى الآخر.

- هو كذلك.

بعد أن غـادر شـحاتة الفصـل، سـار العامـل في الممـر متجهًـا إلى الفصل، ووقف خارج الباب، ونادى عـلى عطيـات، ولمـا ذهبـت إليـه تساءل:

- ماذا ينوي أن يفعل ذلك المتابع؟

أجابت عطيات:

- لا أدري يا عم مرسي. هذه عاقبة الكسل.

لاح الضيق على وجه العامل وقال في استعطاف:

- أخشى أن يخصم أيامًا من راتبي. أرجوك يا أبلة عطيات. أنا رجل فقير ... عندي عدد كبير من الأبناء.

قالت له عطيات بصوت خفيض لا يسمعه التلاميذ:

- قلت لك مرارًا اقلع عن الكسل. لكنك لم تقلع. ها هي النتيجة.

اغرورقت عينا العامل بالدموع. وقال:

- أرجوك يا أبلة عطيات. اذهبي إلى البك المـدير ... اطلبـي منـه أن يتوسط لدى البك المتابع كي يصفح عني. أرجوك يا أب ...

أجهش العامل بالبكاء فتأثر الجميع لحاله.

استولت الحيرة على عطيات ولم تدر ماذا تفعل. ولم يبرح العامل مكانه كأنه ينتظر الرد.

فكرت عطيات لحظة وقبل أن تفتح فاهًا لتتحدث اندفع أيمن قائلًا:

- سأذهب إلى البك المتابع. ألم يقل لي اعتبرني مثل أبيك؟ سأقول له يا من أنت مثل أبي يجب أن تسامح عم مرسي.

وهرول مغادرًا الفصل.

في حجرة المدير كان شحاتة جالسًا على مقعد وراء مكتب يبعد حوالي متر عن المكتب الذي جلس صفوت على مقعد ورائه. فتح شحاتة حقيبة أوراقه ليخرج أدواته وهو يقول:

- يجب أن يعاقب هذا العامل المهمل. سأكتب هذا في التقرير.

في هذه اللحظة سمع الرجلان صوت طرقات خافتة على باب الحجرة. فاتجهت عينا كل منهما إلى الباب وأبصرا أيمن واقفًا خارج الباب.

قال شحاتة مباغتًا:

- آه ... أنت التلميذ الذي اعتقد أنني أشبه جده ... ماذا تريد أيها التلميذ ... ادخل ... تعالَ.

سار أيمن متجهًا إلى شحاتة بارتباك. وعندما وقف قبالته قال باستعطاف:

- عم مرسي رجل فقير ... لديه كثير من الأبناء ... يريد أن يشتري لهم المأكل والملبس ...ويعلمهم ... إنه الآن يبكى لأنك ستخصم راتبه.

أخفى شحاتة ابتسامته وقال:

- لن أقبل وساطة أحد ... حتى إذا كان التلميذ الذي يعتبرني مثل جده.

أجهش أيمن بالبكاء. فلمس ذلك وترًا حساسًا لدى كل من الرجلين. وسأله شحاتة عما يبكيه. فروى على مسمعيه ما حدث. وختم روايته بأن أردف في حزن:

- سيضحك زملائي مني لأنني فشلت. هل ترضى لي أن أفشل؟

فكر شحاتة مليًا. ولاح عليه التأثر وجاهد لكي يخفى ذلك.

انتهز صفوت الفرصة السانحة فقال:

- نعاقبه. لكن لا يصل الأمر إلى الخصم.

ونظر إلى أيمن وقال:

- كف عن البكاء يا أيمن.

توقف أيمن قليلًا عن البكاء. وشعر أنه وجد في قول مدير المدرسة طوق النجاة. فقال باستعطاف:

- أرجو أن تصفح عنه من أجلي ... ومن أجل ... الأستاذة عطيات.

ابتسم صفوت وقال:

- ومن أجلي أنا أيضًا. هو عامل لا بأس به.

فكر شحاتة برهة. ثم قال:

- هو كذلك.

غمرت الفرحة صدر أيمن وأراد أن ينكب على شحاتة ليقبله. فمنعه شحاتة برقة وأمره بأن يذهب إلى فصله.

شكره أيمن وابتسم وهو يغادر الحجرة. وشرع شحاتة في كتابة التقرير.

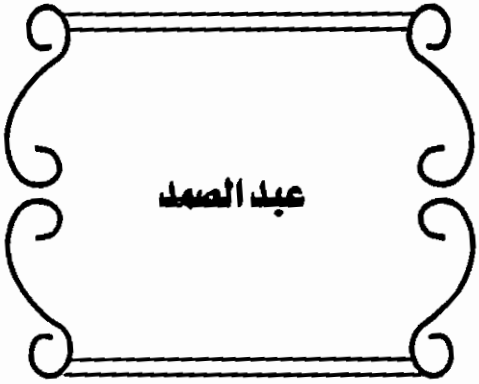
عبد الصمد

عبد الصمد

كان عبد الصمد جالسًا بحجرة المعيشة في منزله يشاهد فيلمًا يعرض في التلفاز.

ما لبثت أن دلفت زوجته نفوسة إلى الحجرة، وقد حملت بين يديها صينية عليها صنفين من الخضر.وضعتها على السجادة التي اكتست بها أرضيه الحجرة، ووقفت تنظر إلى التلفاز باهتمام واضعة يديها على خصرها برهة ثم قالت:

- إنني لم أشاهد هذا الفيلم من قبل.

قال عبد الصمد دون أن تبرح عيناه شاشة التلفاز:

- هو أمامك. شاهديه.

تخيرت نفوسة موضعًا على السجادة تستطيع أن تشاهد منه التلفاز جيدًا وجلست. ثم وضعت الصينية على ركبتيها وسألت زوجها عبد الصمد عن اسم الفيلم. وعندما أجاب طلبت منه أن يروي لها مجمل الأحداث التي مضت قبل مجيئها إلى الحجرة ففعل.

جذبت أحداث الفيلم اهتمام نفوسة بشدة، فثبتت عيناها على الشاشة لا تريد أن تفارقاها. ابتسمت نفوسة بعد لحظات وقالت:

- يخيل إليَّ إنني لن أعد الخضر للطهو إلا بعد أن ينتهي الفيلم.

قال عبد الصمد ببساطة:

- ما زال الوقت مبكرًا على الغداء. أعدي الخضر بعد أن تشاهدي الفيلم.

قالت نفوسة في شيء من الضيق:

- تجهيز الخضر يحتاج إلى وقت طويل يا زوجي العزيز.

قال عبد الصمد باقتضاب:

- افعلي ما شئت.

بعد فترة وجيزة شغل خلالها كل منهما بمتابعة أحداث الفيلم. فكرت نفوسة برهة، ثم أطلقت زفرة حارة أودعتها كل ما في صدرها من ضيق. وقالت:

- من يصدق أن الدواجن تصاب بأنفلونزا قاتلة؟! وأن تجار الدواجن يغيرون نشاطهم أو يغلقون محلاتهم؟! أنت مثلًا ...

قاطعها عبد الصمد قائلًا بانفعال:

- لا تكملي يا نفوسة. ضاق صدري بما لا يسمح لي بتقبل المزيد.

صمتت نفوسة كأنها فقدت قدرتها على النطق أو كأن غصة وقفت في حلقها وسدته. بعد لحظة ازدردت نفوسة ريقها. وقالت بتردد:

- ماذا يحدث إذا اقترضت من المال ما تستطيع أن تجهز به المحل وأن تتاجر في الدواجن المجمدة؟! كثيرون فعلوا ذلك. بل إن بعضهم صار يتاجر في الأسماك.

ازداد الشعور بالغضب في صدر عبد الصمد. غير أنه تمالك أعصابه الثائرة. وقال بصوت حاول أن يبدو هادئًا:

- قلت لك إنني لن أجعل ديوني تتفاقم. كفى ما أنا فيه. الدين كما يقال عنه «هم في الليل وذل بالنهار».

قالت نفوسة:

- صدقت.

استغرق عبد الصمد في التفكير، إن الديون التي شعر عبد الصمد

أنها تثقل كاهله، هي أقساط ثمن شقة تمليك ابتاعها لابنه الكبير أيمن. إذ صمم أيمن على أن يسكن في حي المهندسين.

عندئذ تردد في أذني عبد الصمد صوت نفوسة يقول:

- ابنك ليس أقل من ابن عمه المقيم في جاردن سيتي. من يصدق أنك تاجر طيور كبير ما دمت لا تستطيع أن تشتري لابنك شقة تمليك في حي محترم.

نفض عبد الصمد عن ذهنه هذا التفكير الذي يثير في نفسه الأسى. وانهمك في مشاهدة الفيلم. غير أن هذا التفكير ما لبث أن وجد طريقه إلى ذهن عبد الصمد مرة أخرى. فقال عبد الصمد لنفسه في سخرية مريرة: يا للعظمة! أنت صرت بلا عمل يا عبد الصمد.

بعد لحظات قالت نفوسة في لهجة اتسمت بالرجاء:

- لا داعي للدواجن المجمدة التي تجعلك تقترض. اشترك أنت ومدحت ابن أخي في بوتيك. أنت بالمحل وهو بالبضائع. ربما جلب ذلك عليكما خيرًا وفيرًا.

قال عبد الصمد في شيء من الضيق:

- إنني أحب مدحت ابن أخيك وأحترمه. لكن ... يالعمق الفرق بين تجارة الطيور وتجارة الثياب الجاهزة! دعك من هذا الشريط. أصبح يثير الضجر من كثرة الاستماع إليه.

تجهم وجه نفوسة قليلًا ولم تفه بحرف واحد.

لم يشأ عبد الصمد أن يتمادى في هذا الحديث؛ لأنه يثير شجونه. فشغل بمشاهدة الفيلم. وسرعان ما عاد إلى التفكير في المشكلة التي أرقته. إن عبد الصمد لا يستطيع أن يترك مهنة عمل بها منذ أن رسب عامين متتاليين في الشهادة الإعدادية.

يوجد شيء آخر. إن عبد الصمد لم يعرف مهنة في حياته غير هذه المهنة. وقد خيل إليه أن والده ورَّثها له. لذلك عندما توفي أبوه تصدى عبد الصمد لإخوته حتى لا يبيعون المحل. واضطر إلى الاستدانة ليدفع لكل منهم نصيبه في المحل. ولم يمانع إخوته في أخذ أنصبتهم وترك المحل لعبد الصمد؛ لأنهم يعلمون مدى تعلقه به. فكيف تطالبه نفوسة في هذا الوقت بالذات ... بعد أن كاد يصبح جدا بأن يغير نشاط المحل؟! وأن يغير مهنته؟! كلا ... لن يحدث هذا على الإطلاق. لا مفر من المقاومة.

ما لبث أن قال عبد الصمد لنفسه: يجب أن تنتهي هـذه المحنـة ... كما انتهت أي محنة أخرى سبقتها ... سوف تعود الميـاه إلى مجاريهـا. لـن يستمر الظلام للأبد ... فالليل يعقبه النهار.

لاحظت نفوسة شرود زوجها، فاعتقـدت أنـه يفكـر فـيما قالـت، ويزنه بعقله ... عقل التـاجر المـاهر. فصـمتت لتمنحـه فرصـة إمعـان الفكر. لكنها لم تستطع أن تصبر طويلًا فتساءلت:

- ما رأيك؟ أما زلت لم تفكر جيدًا؟

نهض عبد الصمد بسرعة كأن حية لدغته. وصاح قائلًا باستياء:

- لن أغير رأيي ... حتى إذا انطبقت السماء على الأرض.

وسار بسرعة متجهًا إلى باب الحجرة. وقال:

- أنا خارج. أريد أن أشم الهواء. هل تريدين شيئًا؟

- لا.

ذهب عبد الصمد إلى حجرته. وارتدى ملابـس الخـروج. وغـادر الشقة بعد بضع دقائق.

وصل عبد الصمد إلى المحل. ووقف لحظة أمام الباب يتأمل بحزن

وانكسار اللافتة الكبيرة المعلقة أعلى الباب، وكتب عليها بالبنط العريض «طيور الأمانة».

فجأة تخيل عبد الصمد أنه حوَّل المحل إلى بوتيك. وتأمل بعين خياله منظر الملابس الجاهزة في الفترينات. وتخيل أيضًا أن يكتب على اللافتة «بوتيك الأمانة»، أو بوتيك أي اسم آخر. فأحس بغربة شديدة ... غربة جعلته يحس كأنه اقتلع من جذوره. فنفض عبد الصمد عن ذهنه هذا التفكير في الحال.

أخرج عبد الصمد من جيبه سلسلة المفاتيح وفتح أقفال الباب. وما أن بدأ في رفع الباب لأعلى حتى اندفعت إلى أنفه رائحة المواد الكيميائية المستخدمة في تعقيم المحل ومحتوياته من فيروس أنفلونزا الطيور مع الهواء الذي يستنشقه. وكانت الرائحة تزداد بالتدريج مع زيادة ارتفاع الباب. وعندما انتهى عبد الصمد من فتح باب المحل، سد فتحتي أنفه بإصبعي يده اليمنى ليمنع دخول الهواء إلى رئتيه. لكن هيهات.

تعجب عبد الصمد في نفسه لأن الرائحة ما زالت تعبق جو المحل

رغم مرور أكثر من أسبوع على رش المحل بهذه المواد المطهرة.

وقف عبد الصمد خارج باب المحل برهة، وبلغ أذنيه صوت ارتطام قطع الشطرنج على طاولة اللعب. فنظر إلى الجانب المقابل من الشارع حيث توجد مقهى الحرية.

كان شوقي صبي المقهى واقفًا قرب الباب يتحاور مع أحد الزبائن حول أحد الأخبار المحلية. صاح عبد الصمد:

- مرحبًا يا معلم شوقي.

كست البشاشة وجه شوقي وصاح في سرور:

- مرحبًا يا معلم عبد الصمد. أين أنت يا رجل وأين أيامك. غبت عنا طويلًا.

- هأنا قادم.

سار عبد الصمد متجهًا صوب المقهى. وفكر أثناء الطريق في كلمة «معلم» التي فاه بها شوقي منذ قليل. فقد أحس عبد الصمد أن لنطق هذه الكلمة في هذه المرة مذاقًا مختلفًا عن نطقها في المرات السابقة. ربما حدث ذلك لأن عبد الصمد لم يسمع هذه الكلمة منذ أيام خالها عبد

الصمد دهورًا طويلة. المهم أن هذه الكلمة أصبحت الآن ذات كيان مادي ملموس ارتبطت جذوره بكيان عبد الصمد ووجوده على سطح الكرة الأرضية.

صافح شوقي عبد الصمد في شوق وترحاب بالغين. وابتهل إلى الله بالدعاء أن تزاح هذه الغمة عن كاهل عبد الصمد بسرعة ليتألق مرة أخرى وسط زبائن المحل.

تمتم عبد الصمد بكلمة «آمين». وشكر شوقي على شعوره نحوه. وقال وهو يتجه إلى منضدة:

- أحضر الشاي ذات السكر المضبوط يا شوقي.

ضحك شوقي وقال:

- أمرك يا معلم عبد الصمد.

ثم ذهب شوقي ليجهز طلبات زبائن المقهى.

بعد قليل نادى عبد الصمد على شوقي. وعندما وصل إليه دفع له ثمن ما طلبه ونهض وذهب إلى المحل. وكانت رائحة المواد المطهرة قد نقصت إلى حد كبير.

وقف عبد الصمد برهة عند باب المحل. ثم حمل صفا من الأقفاص من داخل المحل وذهب بها إلى خارج المحل ووضعها قرب الجدار الأيمن.

ثم عاد عبد الصمد إلى داخل المحل. وذهب إلى لوحة خشبية كتب عليها بخط يقرأ من مسافة بضعة أمتار أنواع الطيور الداجنة التي تباع بالمحل في صف رأسي. ووضع إلى يمين كل صنف ورقة بالثمن.

نزع عبد الصمد الأوراق برفق وحرص على ألا تترك أثرًا مكانها. ثم أتى بفوطة نظيفة مبللة بالماء وأزال الأتربة عن اللوحة. ووضع الفوطة جانبًا وحمل اللوحة إلى خارج المحل.

تأمل عبد الصمد المنظر، وأخذ لسانه يلهج بالدعاء إلى الله لكي يجعل الخيال يتحول إلى واقع ملموس.

بعد قليل جلس عبد الصمد على مقربة من الباب في صمت لم يكن يقطعه سوى تبادل التحايا والأحاديث القصيرة مع من يمر به من المعارف والجيران.

بعد وقت قصير سار محسن في الشارع، ووقف خارج المحل، ونظر

بتأمل إلى الأقفاص وقائمة الأسعار وأمعن التفكير.

أثار ذلك تعجب عبد الصمد ودهشته وكاد يسأل محسن عما يريد، لكنه أحجم وقرر أن يتريث ليرى ما يحدث.

نظر محسن إلى عبد الصمد في شيء من الكبر وقال:

- إذا سمحت يا معلم.

قال عبد الصمد وهو ينهض:

- حاضر.

ذهب عبد الصمد إلى محسن ووقف قبالته. تساءل محسن:

- هل تبيع الطيور بالأسعار المدونة بالقائمة أم تتلاعب فيها؟

زاد تعجب عبد الصمد. وتأمل محسن مليًّا من شعر رأسه إلى أخمص قدميه. وقال في نفسه: لا بد أن يكون هذا الشاب مختلًّا عقليًّا.

نظر عبد الصمد إلى محسن مرة أخرى. وقال لنفسه: لا يبدو عليه ذلك. مظهره يكاد ينطق بأنه من مباحث التموين. يجب عليه إذن أن يعامله أفضل معاملة.

عندما لم يرد عبد الصمد أردف محسن:

- إنني أعرفكم يا تجار الطيور ... تكتبون سعرًا وتبيعون بآخر.

قال عبد الصمد مدافعًا عن نفسه:

- إنني عندما توجد طيور أبيع بالسعر المكتوب على قائمة الأسعار.

قال محسن:

- أريد دجاجة بيضاء حية.

قال عبد الصمد في شيء من الاستغراب:

- إنني لا أبيع الدجاج الحي ولا حتى المجمد.

لم يبرح محسن مكانه. وبدت على وجهه أمارات التفكير.

عاد عبد الصمد إلى مكانه وجلس ونظر إلى محسن في ترقب.

قال محسن:

- سأدفع ما تريد وأكثر. زوجتي حامل في طفلها الأول وتريد دجاجة حية ذات ريش وقدمين.

لم يرد عبد الصمد. ونظر إلى الناحية الأخرى في شيء من الاستياء. ولاحظ محسن ذلك فذهب إلى حال سبيله.

كانت الشمس توشك أن تؤذن بالمغيب عندما انتهى عبد الصمد

من تناول طعامه المكون من شطائر الطعمية بالسلاطة. وأزال بقايا الطعام من على المنضدة وألقاها في سلة المهملات. ثم نهض من مكانه واتجه إلى خارج المحل. ووقف في الشارع ونادى على شوقي. وعندما رد طلب منه أن يحضر له كوبًا من الماء. وعاد إلى مقعده داخل المحل وجلس.

لم تمضِ سوى دقائق معدودات حتى أتى شوقي حاملًا صينية عليها كوبًا من الماء، ناوله لعبد الصمد.

ابتسم عبد الصمد وقال:

- أشكرك يا أبو الشوق.

سمعا في هذه اللحظة وقع قدمين ثقيلتين تقتربان من المحل. فنظرا ناحية الصوت ورأيا رجل شرطة. يقف عند الباب. ويقول بصوت جهوري:

- من منكما عبد الصمد عبد الكريم؟

اضطرب شوقي وقال بتلعثم:

- لست أنا.

وأخذ الكوب كأنه يختطفه وغادر المحل بسرعة. بينما نهض عبد الصمد من مكانه وسار متجهًا إلى رجل الشرطة كأنه واقع تحت تأثير التنويم المغناطيسي.

قال رجل الشرطة:

- هل أنت عبد الصمد عبد الكريم؟ أجب بسرعة.

أجاب عبد الصمد وهو يكاد يرتعد من الخوف:

- نعم. أنا عبد الصمد.

قال رجل الشرطة:

- تعالى معي إلى رئيس المباحث.

قبض رجل الشرطة على ذراع عبد الصمد وجذبه ليسير برفقته، ولم يجب على أي سؤال من أسئلة عبد الصمد. كما رفض أن يسمح لعبد الصمد بأن يغلق المحل وأمره بأن يترك المحل في حراسة اثنين من رجال الشرطة وقفا عند الباب.

وصل عبد الصمد إلى قسم الشرطة. ودلف إلى مكتب رئيس المباحث. وقد سأله الضابط المكلف بالتحقيق معه عن اسمه وعنوانه

وسنه ومهنته فأجاب. ثم ضغط الضابط على زر جرس.

جاء الساعي إلى الحجرة في الحال. عندئذ أمره الضابط بإحضار المدعو محسن أبو زيد. فأدى الساعي التحية وغادر الحجرة. ثم عاد بعد دقائق وبصحبته الرجل الذي رآه عبد الصمد في المحل.

سأل الضابط عبد الصمد إن كان رأى هذا الشخص من قبل. فقص عبد الصمد على مسمعي الضابط ما حدث.

قرأ الضابط في تأني وهوادة مقتطفات من البلاغ المقدم ضده من المدعو محسن أبو زيد. قال في أحدها:

- يقول الشاكي إنك تبيع الطيور الحية وإنك تخفيها بمكان في المنزل القريب من المحل وأنك رفضت أن تبيع له دجاجة رغم أنك تبيع لغيره وأنك تبيع خارج التسعيرة. ما هو دفاعك؟

أجاب عبد الصمد:

- إنني لا أبيع الطيور الحية أو المجمدة منذ أن صدر قرار من وزارة الصحة بمنع بيع الطيور الحية. وإنني فتحت المحل اليوم فقط لتجديد الهواء به بعد مضي أكثر من أسبوع على عمليات التطهير والتعقيم.

استمر التحقيق بعد ذلك. وجاء المحامي الأستاذ علوان. فشعر عبد الصمد بشيء من الطمأنينة وهدأت نفسه إلى حد كبير لأن علوان محامي ماهر. وأنصت عبد الصمد إلى الحديث الدائر بين الضابط والمحامي.

بعد ذلك اكتشف عبد الصمد أنه ربما يصبح متهمًا في قضية خطيرة تمس حياة المواطنين الآمنين. وأن يجب عدم التهاون في هذه الجريمة ولا بد من معاقبة أولئك المجرمين الذين يستهينون بأرواح البشر من أجل ربح مادي ضئيل القيمة. وعلى ذلك يجب الاتصال بجميع الجهات الحكومية المعنية بالموضوع لكي يتسنى معاقبة المجرم. ثم أقفل المحضر في تاريخه.

استولى على عبد الصمد الشعور بأن محسن هذا ربما يكون مختلا عقليًا أو دفع إلى ذلك دفعًا لسبب لا يدريه. وإذا كان محسن مختلًا عقليًا فلماذا يكون عبد الصمد دون سائر البشر محل انتقامه؟ وإذا كان ذلك بهدف الكيد له، كيف يتمكن عبد الصمد من إثبات براءته.

استغرق عبد الصمد في التفكير ثم قال لنفسه وقد اجتاحه

إحساس شديد بالحسرة والمرارة. فقال لنفسه: لك الله يا عبد الصمد. يبدو أن التمسك بالمبدأ في بعض الأحيان يكون جريمة يجب أن يعاقب عليها الإنسان.

أمر الضابط بأن يودع عبد الصمد السجن مدة أربعة أيام على ذمة التحقيق. فاستولى عليه الإحساس بالضيق الشديد بسبب إحساسه بالظلم الواقع عليه. لكنه سيطر على أعصابه وتمالك زمام نفسه وغادر الحجرة برفقة حارس مكبل معه في القيد الحديدي وعلوان المحامي.

سار عبد الصمد والمحامي والحارس في جهة من الممر. ورأى عبد الصمد زوجته نفوسة وولديها وابن أخيه وابن أخ زوجته قادمين نحوه من الجهة المقابلة، فأراد أن ينتزع من بين شفتيه ابتسامة تبدد جزء كبيرًا من كآبة الموقف دون جدوى.

لقد لطمت نفوسة صدرها بيمناها بقوة. وقالت بانزعاج:

- من فعل بك هذا يا زوجي ... وتوأم روحي؟ أخبرني شوقي صبي المقهى ولم أصدق.

صاح عبد الصمد قائلًا:

- أنا لم أرتكب جرمًا يعاقب عليه القانون يا نفوسة.

صاحت نفوسة قائلة:

- هذه نهاية تجارة الدواجن ... السجن. لن أدعك تفعل ذلك بنفسك.

أجهشت نفوسة بالبكاء، وألقت نفسها على عبد الصمد تريد أن تفك قيده. وحاول الحارس أن يبعدها عن عبد الصمد. وعندما أخفق استعان بالمحامي. وتمكن الاثنان من حفظ النظام وسار الموكب الصغير إلى باب القسم.

وما لبثت أن صعد عبد الصمد وحارسه إلى السيارة التي تقلهما إلى السجن وسط سيل من السلامات ودعوات الأهل بأن تنقشع هذه الغمة في أقرب فرصة، وتثبت براءة عبد الصمد ويعود إلى أسرته سالمًا.

في الأيام التالية استمر التحقيق مع عبد الصمد مع ما تقوم به الجهات المختصة بحماية المواطنين من الإصابة بأنفلونزا الطيور. فتعرض محل «طيور الأمانة» لسلسلة من الفحوصات المعملية الدقيقة قامت بها معامل وزارة الداخلية والصحة والسكان والزراعة والطب

البيطري وغيرها. وقد أثبتت جميع الفحوصات خلو المحل ومحتوياته من أنفلونزا الطيور. كما لم يتم العثور في المحل على أثر واحد يعد دليل على استخدام المحل ومحتوياته في تجارة الطيور بعدما أجري عليهما من عمليات تطهير وتعقيم.

قضى عبد الصمد عدة أيام في زنزانة بالسجن لا يختلط فيها بغيره من السجناء. وكان يُرى معظم الوقت حزينًا شارد اللب يفكر في أحواله وأحوال أسرته.

في يوم ما فتح باب الزنزانة، ودخل الحارس وبصحبته ضابط. فاتجهت نحوهما أنظار جميع المسجونين في ترقب. قال الضابط:

- السجين عبد الصمد عبد الكريم.

اضطرب عبد الصمد اضطرابًا شديدًا. وامتلأ صدره بالخوف والذعر. وأجاب بصوت لا يكاد يبين رغم الصمت المشحون بالرهبة والترقب الذي ساد الزنزانة:

- أفندم.

نظر الضابط إليه وأشار إليه بيده قائلًا:

- تعالى يا عبد الصمد.

- حاضر يا بك.

فاستدار الضابط ليخرج من الزنزانة وتبعه الحارس وعبد الصمد. ثم أغلق الحارس باب الزنزانة.

وسار الثلاثة في الممر الطويل المفضي إلى حجرة رئيس السجن وكان عبد الصمد في حالة خوف شديد.

وما أن دلف عبد الصمد إلى حجرة رئيس السجن حتى نظر إليه رئيس السجن من وراء النظارة الطبية التي يرتديها وقال في شيء من الابتسام:

- افرح يا عم. إفراج يا عبد الصمد.

أحس عبد الصمد أن الدنيا لا تكاد تسعه من الفرحة. واندفع في تيارها الجارف. فتناول يد رئيس السجن كأنه يختطفها وانكب عليها يوسعها لثمًا وتقبيلًا، وضاق به رئيس السجن وحاول أن يسترد يده. واستطاع بعد لأي. وشد على يد عبد الصمد متمنيًا له التوفيق.

غادر عبد الصمد السجن وهو يكاد ألا يصدق نفسه. وكان أفراد

الموكب الصغير ينتظرونه خارج باب السجن. وعاد معهم عبد الصمد وسط مظاهر الفرحة إلى منزله.

بعد أيام عادت الحياة إلى سيرتها الأولى وطفت على السطح من جديد مشكلة العمل بالمحل. وقر عزم عبد الصمد على أنه يجب أن يجد حلًا جذريًا لمشكلته.

وفي يوم قرر أي عبد الصمد على أن يذهب إلى المحل ليفكر في هدوء. فارتدى ثياب الخروج وغادر المنزل.

أحس عبد الصمد بدهشة أخذت تتفاقم كلما اقترب من المحل. وقد أفعم السرور قلب عبد الصمد وضاعف من سروره أنه وجد اللافتة تعلن أن المحل لبيع الطيور.

نظر عبد الصمد إلى الناحية المقابلة حيث يوجد المقهى. ورأى شوقي يضع الصينية على منضدة زبون جلس خارج المقهى. فنادى عليه.

تهلل وجه شوقي من الفرحة عندما رأى عبد الصمد. وعبر الشارع وهو يكاد يهرول في سيره وذهب إلى عبد الصمد وصافحه في

سرور وهنأه على خروجه من السجن. وشكره عبد الصمد على شعوره الطيب وعلى ما بذل من أجله.

فكر عبد الصمد لحظة ثم أشار بيده تجاه المحل وتساءل:

- من فعل هذا؟

أجاب شوقي:

- ابناك وابن شقيقك. افتح الباب وسترى ما هو أعجب. انتظر ثانية واحدة.

وقبل أن يتلق شوقي ردًّا من عبد الصمد أسرع ذاهبًا إلى المقهى وعاد بعد لحظات ووقف قبالة عبد الصمد ومد يده اليمنى إليه وقال:

- تفضل المفتاح.

وضع عبد الصمد المفتاح في راحة يده، ونظر إليه برهة متأملًا في دهشة. ثم فتح الباب بانفعال. ووقف عبد الصمد برهة لا يكاد يصدق نفسه من الفرحة عندما وجد المحل حديث الطلاء وتم تأثيثه بكل ما يلزم تجارة الدواجن المجمدة. فاغرورقت عينا عبد الصمد بدموع الفرحة وهو يفحص ويجرب الأجهزة والمعدات.

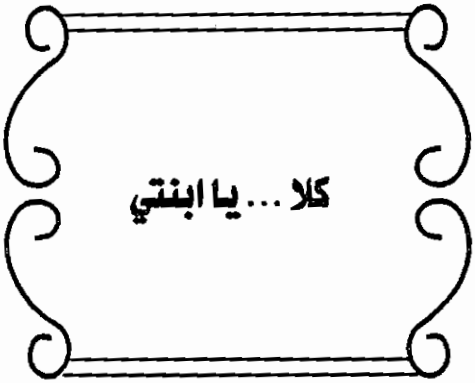
كلا ... يا ابنتي

كلا ... يا ابنتي

كانت صباح جالسة على مقعد بالردهة في اشقة التي تقيم فيها مع أسرتها بحي المهندسين، تثبت أزرار بلوزتها الجديدة، وتصغى إلى برنامج «لغتنا الجميلة» الذي يقدمه فاروق شوشة في الساعة الحادية عشر إلا ربعًا مساءً من إذاعة البرنامج العام.

بعد لحظة أرسل جرس الباب الخارجي رنينًا متواصلًا.

وضعت صباح البلوزة جانبًا ونهضت وسارت متجهة صوب الباب. وعندما وصلت إليه نظرت من العين السحرية.

على ضوء المصباح المعلق في السقف أمام باب الشقة رأت صباح ابنتها سوزان واقفة أمام الباب، وعلى ذراعها طفلها الرضيع أسامة نائمًا، وإلى جوارها ابنتها علياء التي لم تتجاوز الرابعة من عمرها.

ابتسمت صباح وهي تفتح الباب وتستقبل ابنتها مرحبة.

مدت سوزان يديها إلى صباح بالطفل النائم وقالت في همس:

- احملي عني يا أماه ... أسامة ثقيل على ذراعي.

بسملت صباح بسرور وحملت أسامة بحنان وهي تقول:

- أسامة هذا حبيب جدته ... دعيه أنت فحسب.

سارت صباح بتمهل متجهة إلى الردهة وجلست على حافة الأريكة. بينما مرت سوزان وعلياء من الباب. وتبعت علياء جدتها وأحكمت سوزان إغلاق الباب برفق.

ذهبت سوزان إلى حجرة بها مخدعين أحدهما كبير بدت عليه آثار القدم والآخر صغير وجديد نوعًا ما.

بعد قليل وقفت سوزان عند باب الحجرة، وأشارت بيدها إلى صباح بأن تذهب إلى الحجرة.

نفذت صباح ما طلبته منها ابنتها وحذت علياء حذوها.

تناولت سوزان من صباح الطفل النائم، ووضعته على المخدع الكبير برفق شديد كأنه شيء هش تخشى أن يكسر ووقفت صباح ترقب ابنتها بسرور.

شعرت صباح بيد صغيرة تمسك يدها برفق. فالتفتت إلى المخدع الصغير. ورأت علياء تبتسم لها. وتقول في صوت لا يكاد يبين:

- تصبحين على خير يا جدتي.

ردت صباح بصوت لا يكاد يبين:

- وأنت أيضًا يا حبيبتي.

وطبعت على جبين حفيدتها قبلة أودعتها كل ما في صدرها من حب وحنان.

ما لبث أسامة أن أسلم عينيه للنعاس. فابتسمت سوزان بسرور. وانسلت خارجة من الحجرة وتبعتها صباح.

جلست المرأتان في الردهة. وساد الصمت برهة شغلت خلالها كل منهما بأفكارها.

قطعت صباح الصمت بأن تساءلت:

- كيف حال الدكتور رفيق؟

- بخير ... لا يشغله سوى العمل بهذه المستشفى أو تلك.

- أنت تعلمين ذلك. ليس هذا جديدًا عليه يا سوزان.

- الجديد هو أنه طلب مني أن أتنازل عن العمل في فترة المساء. وطبعًا من أجل الأبناء.

قالت صباح:

- ربما كان على حق. لكن ... يجب أن تعملي بمشورة أبيك. المستشفى الاستشاري بأمواله. سيأتي بعد أيام. المهم ... هل تشاجرت مع رفيق؟

أجابت سوزان بحزن:

- كاد الأمر يصل بنا إلى الطلاق.

- بعد الشر يا ابنتي.

بعد ذلك تتابعت صور من الماضي على صفحة ذهن صباح. رفيق زميل سوزان في كلية الطب. ربطت الصداقة بينهما. رفيق من أسرة ميسورة الحال. تقدم لخطبة سوزان بعد أن تخرجا والتحقا بالعمل. تزوجا بعد عام من الخطبة. أقاما في شقة أهداها لهما والد رفيق تقع بمدينة نصر.

بعد قليل استأذنت صباح من سوزان لكي تشغل جهاز التلفاز فأذنت لها. وشغلت صباح نفسها بمشاهدة برنامج تليفزيوني مناسب تعرضه إحدى القنوات.

شاهدت سوزان البرنامج بعض الوقت. ثم استأذنت من أمها لتذهب إلى الفراش.

مكثت سوزان في الفراش وقتًا طويلًا دون أن تخلد إلى النعاس. إذ داهمتها موجة من الأفكار أخذت تتتابع على صفحة ذهنها فكرة في إثر أخرى.

تكمن مشكلة سوزان في أن إقامتها بمنزل الزوجية يعوقها عن العمل في فترة المساء. ولكي تتغلب سوزان على هذه المشكلة تقيم مع والديها معظم الوقت لتتولى أمها رعاية علياء وأسامة في فترة غيابها.

فكرت سوزان في رسالة الدكتوراه. وتردد في أذنيها ما قاله رفيق بالأمس فقط. إذ قال: لا أدري ماذا دهاك ما سوزان. أين طموحاتك السابقة؟ أين حماسك واجتهادك اللذان جذباني إليك؟

أرادت سوزان أن تفر من أفكارها فعادت إلى الجلوس أمام التلفاز. ثم تبادلت مع أمها حديثًا قصيرًا حول بعض شئون المنزل.

ما لبثت سوزان أن عاودها التفكير في إيجاد إجابة للسؤال الذي ألح على ذهنها منذ قليل.

لم تجد سوزان إجابة مقنعة. لكنها اعتقدت أنها إجابة يوجد بها شيء من الصواب. إن سوزان تحس بأن قدرتها على العمل تتناقص ...

ترى ما سبب ما حل بها؟ هل لكبر السن وتعقد ظروف الحياة المعاصرة وتشابكها دخل كبير في ذلك؟

اعتدلت سوزان في جلستها. وشاهدت التلفاز برهة. ثم نظرت إلى أمها وتساءلت:

- خبريني يا أماه ماذا أفعل؟

فكرت صباح لحظة. ثم قالت:

- لماذا لا تتفاهمان؟

أجابت سوزان:

- لا يريد. إنه يريد أن يأمر فيطاع.

- استشيري أبوك. سوف يتصل بنا بعد أن يحجز مكانًا بالطائرة.

- هو كذلك.

بعد حوالي ثلاثة أيام، قرب ظهر اليوم الرابع كانت صباح وعلياء تلعبان مع أسامة بقطار لعبة يسير على قضبان، ويصدر صوتًا يشبه الصوت الذي يصدره القطار الحقيقي. غير أن القطار اللعبة يتميز عن القطار الحقيقي في أن الصوت المنبعث منه أقل إزعاجًا.

وكانت صباح تضحك مسرورة من تعليقات علياء على القطار وما يبديه أسامة من مشاعر تجاه ما يحدثه القطار.

فجأة ارتفع رنين جرس الهاتف. فهرولت صباح إلى الهاتف لترد.

تهلل وجه صباح من السرور عندما سمعت زوجها صلاح يخبرها بموعد وصول الطائرة إلى القاهرة.

ثم انتهت المكالمة، ووضعت صباح السماعة، وعادت إلى ما كانت عليه وهي تكاد تطير من الفرحة.

رغم مشاعر الفرحة والبهجة التي استولت على سوزان حز في نفسها أن تغادر المستشفى قبل أن تنتهي من عملها.

استغرقت سوزان في التفكير برهة واتضح لها أنه توجد مشكلة أخرى ... هي أن تتعاون مع والدتها في تنظيف الشقة.

ترددت سوزان لحظة. ثم قالت:

- يجب أن يكون المنزل في غاية الجمال والنظافة. لكن ...

قاطعتها صباح قائلة:

- لا تحملي لذلك همًّا. هذه المهمة تقوم بها زوجة البواب وابنتاه.

لاح الارتياح على وجه سوزان وقالت:

- هو كذلك.

أوشكت الساعة على أن تعلن تمام الثامنة مساء عندما وقفت سيارة رفيق أمام باب المطار. ووقفت وراءها سيارة أخرى تقودها سوزان. هبطت منها صباح وعلياء ووقفتا تنتظران عودة رفيق وسوزان بعد أن يوقفا سيارتيهما في المكان المخصص لذلك.

بعد ثوانٍ أتى رفيق وسوزان وسار أسامة بينهما وقد تشبثت يمناه بيد أبيه ويسراه تشبثت بيد أمه.

ما أن وصل رفيق إلى صباح حتى شد على يدها بقوة وابتسم بتخابث وقال:

- مرحبًا يا حماتي العزيزة. شكرًا لك لأنك أتحت لي الفرصة لأستريح من زوجتي.

ضحكت صباح وسوزان. وادعت سوزان الغضب وقالت:

- المهم ... نحن نريد أن نجلس.

قادهن د. رفيق إلى قاعة الانتظار، وجلسوا ملتفين حول مائدة. ثم

قدمت الطلبات وأخذوا يتجاذبون أطراف الحديث، إلى أن أعلنت المذيعة موعد وصول الطائرة القادمة من مطار جدة، فنهضوا جميعًا ليستقبلوا القادم العزيز وقد ملأت الفرحة قلوبهم.

بعد أن انتهت إجراءات الخروج من المطار أشرف د. رفيق على نقل أمتعة صلاح إلى سيارته. وجلس وراء عجلة القيادة وفتح الباب الأمامي وقال لصلاح:

- تفضل. اجلس.

- شكرًا.

جلس صلاح على المقعد في إعياء.

كانت علياء جالسة بجوار جدتها في سيارة سوزان. وما أن رأت جدها يصعد إلى سيارة أبيها حتى فتحت باب السيارة، وهبطت منها. وأسرعت تعدو إلى سيارة أبيها وهي تصيح:

- انتظرني يا جدي. أنا قادمة لأجلس بجوارك.

ضحك الحاضرون. وصاح جدها يقلدها:

- جدك ينتظرك. تعالي بسرعة.

فتح صلاح باب السيارة. فصعدت علياء وجلست بجواره وأغلق باب السيارة. طبعت علياء قبلة على وجنة صلاح وقالت:

- اسمع يا جدي. لا تسافر وتغيب كثيرًا عنا هكذا.

ابتسم صلاح وقال:

- حاضر.

فكرت علياء لحظة وقالت:

- إذا كان لا بد أن تغيب عنا خذني معك.

قال صلاح مبتسمًا:

- حاضر.

ثم انطلقت سيارة د. رفيق وتبعتها سيارة د. سوزان في الطريق إلى حي المهندسين.

وقفت السيارتان أمام منزل صلاح. وبعد أن هبط كل من فيهما ونقلت أمتعة صلاح إلى فناء المنزل ذهب رفيق وسوزان بالسيارتين إلى الجراج.

تولى صلاح وصباح الإشراف على نقل الأمتعة من الفناء إلى

شقتهما. وعندما فرغا من ذلك صعدا الدرج المفضي إلى الشقة في غبطة. وأفعم صدريهما بالسرور أن يلتقيا بعد غيبة تعتبر طويلة بالنسبة لما اعتادا عليه وهو أن فراقهما لم يكن يزيد عن سويعات قليلة.

ما أن مر صلاح من باب الشقة ورأى ما طرأ على الشقة من جمال ونظافة وتغيير ديكور أدرك أن زوجته بذلت مجهودًا مضنيًا كي تحتفي بعودته. فرمقها صلاح بنظرة أودعها كل ما في قلبه من حب وحنان وقال بانفعال:

- لا حرمني الله من عطفك وحنانك يا صباح.

تورد وجه صباح من شدة الخجل، كأنها عادت إلى سن العشرينات من عمرها. وقالت:

- ولا أنت.

بلغ أذني كل منهما في هذه اللحظة وقع أقدام رفيق وأفراد أسرته على الدرج. فذهب صلاح إلى حجرته. وجلست صباح على مقعد في الردهة.

ما أن وصل رفيق وسوزان وعلياء وأسامة إلى باب الشقة حتى

نهضت صباح وسارت نحوهم. وأغلقت الباب وعادت إلى مقعدها.

بينما صاح رفيق متسائلًا:

- أين الحاج صلاح؟

ابتسمت صباح وقالت:

- ذهب إلى حجرته.

جلس رفيق وسوزان وأسامة. وظلت علياء واقفة وبدت على وجهها آيات التفكير والحيرة. قالت لها سوزان:

- اجلسي يا علياء.

قالت علياء:

- أريد أن أسأل جدي عن الأتاري الذي طلبت منه من أن يحضره.

قالت سوزان باحتداد:

- قلت لك اجلسي. ليس هذا وقت أتاري. دعي جدك يستريح.

اربد وجه علياء قليلًا. وقالت:

- ليكن.

وجلست على مقعد بجوار مقعد أسامة.

بعد العشاء في أحد الأيام كان صلاح جالسًا على مقعد يطالع في مجلة.

بعد قليل جاءت صباح مرتدية ثوبًا منزليًّا بسيطًا، وجلست. وضع صلاح المجلة جانبًا وتساءل:

- أين علياء وأسامة؟

أجابت صباح:

- يشاهدان فيلمًا من أفلام الكرتون.

قال صلاح:

- لاحظت في الفترة الأخيرة أن سوزان تقيم هنا أكثر مما تقيم في بيتها. ربما يؤدي ذلك إلى وقوع خلاف بينها وبين زوجها. والمسافة بين منزلنا وعملها بعيدة.

قالت صباح:

- هي هنا مطمئنة على أسامة وعلياء. لن تستطيع أن تتركهما في الشقة بمفرديهما فترة المساء إذا ذهبت إلى شقتها.

قال صلاح في تسليم:

- الأمر هكذا إذن. رحم الله زماننا. تحملت أنا وأنت أعباء تربية سوزان وشقيقها شفيق من الألف إلى الياء. أنا كنت محاسبًا بوزارة التربية والتعليم. وكنت أنت معلمة بمدرسة إعدادية.

قالت صباح:

- الظروف مختلفة. والزمان أيضًا مختلف.

قال صلاح:

- ربما.

بلغ أذني كل منهما في هذه اللحظة صوت فتح الباب الخارجي وغلقه برفق. فأدرك كل منهما أن سوزان عادت من عملها. وما لبثا أن سمعاها تتحدث إلى علياء.

بعد فترة وجيزة ذهبت سوزان إلى حجرة المعيشة. ووقفت قبالة والدها وقالت:

- تلقيت اليوم رسالة من شفيق.

صاح صلاح وصباح في صوت واحد:

- هل حقًّا؟

- أجل. هو بخير وسيأتي في أقرب فرصة.

قال صلاح كأنه غير مصدق:

- كلام ... تكفيه محاضراته في السوربون.

ابتسمت سوزان وقالت:

- وفقه الله.

ابتسم صلاح وقال:

- ووفقك أيضًا ... اجلسي ... لماذا أنت واقفة؟

- لدي بعض الأعمال.

- اجلسي لأتحدث معك.

جلست سوزان على طرف المقعد. تساءل صلاح:

- كيف تسير الأمور في المستشفى الخاص؟

- لا بأس بها.

- لا تنسي أنك مسئولة عن هذه المستشفى مثل الدكتور رفيق بالضبط.

قالت سوزان:

- اطمئن ... أنا مدركة أن لي نصفها. ولرفيق نصفها. رفيق يبيت كثيرًا بالمستشفى. لكن ظروفي صعبة كما علمت.

قال صلاح:

- لا ضير في ذلك. سوف تمضي الأعوام بسرعة. وتجدين علياء وأسامة كبرا واعتمدا على نفسيهما.

فكرت سوزان: الجميع يقولون ذلك. لكن ... هل ستظل متباعدة عن زوجها إلى أن يكبر الابن والابنة؟ لا شك أن هذه تضحية لن تتحملها طويلا.

عاودت سوزان التفكير في فكرة خطرت على ذهنها منذ أيام. وانتهزت الآن الفرصة التي سنحت لها. وقالت في رجاء:

- عندي فكرة ... تظل علياء وأسامة هنا معكما. وأحضر كل أربعة أيام.

لاحت الدهشة على وجه كل من صلاح وصباح. واستولى على كل منهما الإحساس بالرعب والفزع. لكنهما جاهدا لكي يخفيا حقيقة شعورهما. وقال صلاح في رزانة:

- كلا ... يا ابنتي العزيزة.

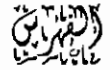

اسم القصة	صفحة
١- جاكت وقرط	٢
٢- تعارف	٣٠
٣- عبر الهاتف	٤٦
٤- زيارة من نوع خاص	٦٤
٥- عبد الصمد	٨٩
٦- كلا ... يا ابتي	١١٢

١- الأرنب المغرور	مجموعة قصصية للطفل
٢- غراميات عطية	مجموعة قصصية للكبار
٣- جواز عدلات هانم	مسرحية من ثلاثة فصول
٤- غرباء ولكن	مسرحية من ثلاثة فصول

رقم الإيداع
٢٠٠٧/٥١٠٧
رقم دولي
977-17-4457-7

دار الهانى للطباعة والنشر
٤٤٤٢٠٥٥